الخاتمة

في تجديد التحدي بتعاليم الوحي المحمدي

ودعوة شعوب الحضارة إلى الدين الإسلامي

تلك عقائد دين محمد وقواعد تشريعه، وأصول إصلاحه الديني والاجتماعي والمالي والسياسي، مسرودة بالإجمال، مؤيدة بشواهدها من آيات القرآن، مجردة من حلل المبالغات الخطابية، وعاطلة من حليِّ الخلابة الشعرية، ونحن المسلمين نتحدى الفلاسفة والمؤرخين من جميع الأمم، ولا سيما أحرار الإفرنج، بأن يأتونا بمثلها أو بما يقرب منها من تاريخ أعظم الأنبياء، وأشهر الحكماء، وأبلغ الأدباء، وأنبغ ساسة الأولين والآخرين، مع صرف النظر عن كونه ﷺ كان -كما بينا أولاً وآخراً- أمياً، وجاء بذلك كله بعد استكمال السن التي صرح علماؤهم بأن الإنسان يستحيل أن يبتدىء أو يبتدع فيها علماً أو فناً، أو يسن فيها شرعاً أو يضع قانوناً، أو أن ينهض في العالم بانقلاب عظيم أو عمل خطير، مما لم يكن قد ظهر استعداده له وأخذ بمقدماته في ريعان الصبا، وشرخ الشباب، وقد بينا الفرق العظيم بينه وبين موسى وعيسى، أعظم أنبياء بني إسرائيل، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

نتحداهم بهذا القرآن تحدياً علمياً إصلاحياً سياسياً في أرقى عهد للبشر في العلم الكسبي، مع صرف النظر عما كان من تحدي سلفنا بإعجاز عبارته وأسلوبها وبلاغتها العربية في أرقى عصورها. ونتحداهم به تحدياً عملياً من حيث أن تنفيذ محمد ﷺ لإصلاحه في تأثيره وسرعته وعمومه من أكبر المعجزات التي تفوق استعداد البشر، فكيف وقد اجتمع العلم والعمل.

وبيانه: أن العلم بما يصلح به حال البشر في أفرادهم وجماعاتهم وشعوبهم، علم واسع يقل في الأذكياء مَن يتقن المدون منه في الكتب الذي يلقن في المدارس، ثم يَقِّل من يستطيع تنفيذ ما يتعلمه منه في أمة يتولى أمر سياستها وإدارة الأحكام فيها، فهل في الإمكان أن يوجد إنسان يضع هذا العلم ذا الشُعب الكثيرة، بل العلوم العالية،

ثم يكون هو الذي يتولى تنفيذها وإصلاح أمة كبيرة بها، ويتم له النجاح في ذلك بنفسه في عصره؟

إن هذا ليس في استطاعة أحد من البشر، ولم يقع من أحد منهم فيما غبر.

وأصول هذا الإصلاح وفروعه محفوظة إلى اليوم، وقد فسد أكثر البشر لتركهم الاهتداء بها!!

وأما تنفيذ محمد ﷺ لهذه التعاليم فقد تم في عشر سنين من تاريخ الهجرة الذي كان بدء حياة الحرية له ولمن آمن به، وقد ظل قبلها يدعو إلى أصولها المجملة عشر سنين، أولاً بالسر، ثم بالجهر مع احتمال الاضطهاد والإيذاء والتعذيب والتهديد بالقتل والنفي، الذي اضطر المؤمنين إلى هجرة بعد هجرة، وبعد الهجرة العامة بالتبع له ﷺ صار لهم قوة، فكان المشركون يعتدون عليهم ويقاتلونهم، في دار هجرتهم، فكانوا في حالة حرب وقتال مع المشركين كافة، وكذا أهل الكتاب المجاورين له، وكان ﷺ عقد لليهود معاهدة بتأمينهم على دينهم وأنفسهم وأموالهم بشرط ألا يظاهروا المشركين عليه، فنقضوا عهده المرة بعد المرة، وظاهروهم بل أغروهم بقتاله، فاضطر إلى قتالهم وإجلائهم من جواره في الحجاز، وظل المسلمون في نضال مع المشركين مدة ست سنين، مدافعين عن أنفسهم في كل قتال، دفاع الضعيف -المؤيد من الله- للأقوياء المخذولين، وفي أواخر السادسة عقد معاهدة الحديبية مع المشركين على وضع القتال عشر سنين، ثم غدر المشركون ونقضوا العهد، فعادت حالة الحرب، وفتح المسلمون مكة عاصمة قريش الدينية والدنيوية، ومثابة جميع الأمة العربية، في سنة ثمان من الهجرة وحج النبي ﷺ حجة الوداع في آخر سنة عشر، وأنزل الله تعالى عليه في يوم عرفة منها ﴿**ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾[المائدة:3].

ففي عشر سنين تم توحيد الأمة العربية التي كانت أعرق أمم الأرض في الشقاق والتفرق والعداء، وإنما كان ذلك بتأثير كتاب الله وتأييده عز وجل لرسوله

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال]، وبما أعده الله تعالى له من إتمام مكارم الأخلاق، وما وفقه وأرشده إليه من حسن السياسة المبينة في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران:159] الآية، وذلك أن العرب كانت أعصى خلق الله على الخضوع والطاعة والانقياد، لعراقتهم في الحرية، وشدة بأسهم، وعدم ابتلائهم بالملوك المستبدين القاهرين، والرؤساء الروحيين المسيطرين، الذين يذللون الأمم ويخضعونها لكل ذي سلطان قوي.

فليدلنا علماء التاريخ العام على نبي من الأنبياء، أو حكيم من الحكماء، أو ملك من الملوك الفاتحين والمشترعين، ربَّى أمة من الأمم في عشر سنين أو عشرين، فجعلها أهلاً لفتح الأمصار، والسيادة على الأمم الحضرية، وسياستها بالعدل والرحمة، وتحويلها عن أديانها ولغاتها بالإقناع وحسن القدوة، ولا نشترط أن تكون هذه الأمة التي علمها وهذبها ووحدها رجل واحد كالأمة العربية في عتوها، ولا أن يكون هذا الرجل أمياً كمحمد ﷺ.

فأين الوحدة الجرمانية والوحدة الطليانية في عصر العلوم والفنون والفلسفة والحضارة والقوانين، ونُظم الإجتماع والحرب من الوحدة العربية المحمدية، في عهد الأمية والجاهلية؟ بل أين الوحدة الإسرائيلية، في عهد الآيات والعجائب الكونية، من الوحدة العربية الخاصة، ثم الوحدة الإسلامية العامة، في عهد آيات القرآن وعلومه الإلهية؟

ثم نَفَّذ ذلك التشريع الأعلى، والهداية المثلى، خلفاء محمد الراشدون، وكثير من ملوك المسلمين الصالحين، بما شهد لهم به تاريخهم، واعترف لهم به المؤرخون المنصفون من الإفرنج وغيرهم، بالجمع بهما بين العدل والرحمة، وبأنهم جددوا بهما

الحضارة الإنسانية ورقوها، وأحيوا العلوم والفنون الميتة وهذبوها واستثمروها، وكانوا أساتذة العالم فيها.

ثم كان من قوة هذا الدين في الحق والفضائل أن عادته جميع أمم الإفرنج وحاربته بجميع قواتها الصليبية، الهمجية منها والمدنية، ثم بعلومها وفنونها ونظمها المدهشة، ولا تزال تحاربه وتبذل الملايين من الدنانير لتحويل أهله عنه، بعد زوال قوة دوله، وغلبة الجهل على شعوبه، بجميع أساليب الدعوة المسماة بالتبشير وبجميع وسائل القوة والنظام، وبمساعدة الملحدين فيه، كالقاديانية، وتقترف دولهم وجمعياتهم الدينية في ذلك من رذائل الظلم والبغي والكذب ما يتبرأ من مثله شرار المجرمين، ولم يستطيعوا له هدماً، ولا أن يُنَصِّروا مسلماً واحداً عرف الإسلام[1].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

***

(1) هذا ما نقله الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسي في مقدمة تفسيره عن إجماع المبشرين، كما تقدم في مقدمة الطبعة الأولى.

نتيجة التحدي بالوحي المحمدي

دعوة شعوب المدنية: أوربة وأمريكة واليابان، بلسان علمائها إلى الإسلام

لإصلاح فساد البشر المادي وتمتيعه بالسلام والإخاء الإنساني العام

إذا عجز حكماء هذا العصر وعلماء الحياة والاجتماع والأخلاق والمؤرخون من أحرار الإفرنج وغيرهم عن إخبارنا بوجود رجل مثل محمد ﷺ، فيما عُلم من تاريخه المعروف المشهور جاء بمثل هذا القرآن في خصائصه، ولا سيما التعاليم التي لخصنا كلياتها في هذا الكتاب، وقدر أن ينفذها ويربي بها أمة كالأمة العربية حتى كان لها بها من الأثر الديني والمدني في العالم مثل أثرها -وإنهم لعاجزون عن ذلك قطعاً- أفلا يكون عجزهم هذا برهاناً على أن دين محمد وكتاب محمد وهدي محمد وتربية محمد للأمة العربية، بما قلب به نظم العالم الإنساني كلها، وحولها إلى ما هو خير منها - كل أولئك من خوارق العادات، وما لا يقبل المراء الظاهر من المعجزات؟ بلى.

وإذ كان حقاً واقعاً ماله من دافع، فما المانع من عد هذه التعاليم وحياً من رب العالمين، العليم الحكيم، وما معنى كونها وحياً إلا أنها علم أفاضه الله تعالى على روح محمد وقلبه، بطريقة خفية غير طرق العلم الكسبية المعروفة للبشر عامة، وفوق الإلهامات النفسية القليلة التي تُؤْثَر عن بعض الخاصة؟ وما معنى كونها معجزة إلا أنها جاءت على غير المعهود في علم البشر الكسبي والنفسي، وخلاف المقرر في علم النفس والفلسفة العقلية وسنن الاجتماع، وتواريخ الأمم، وسِيَر الحكماء والعلماء والملوك، وفوق المعروف عن الأنبياء أيضاً وإن كانت من جنسها، فالأنبياء قد أنبأوا ببعض الغيوب الحاضرة في عصرهم والعصور التي أتت بعدهم، وأنبأ محمد ﷺ بما هو أصرح منها وأظهر وأكثر، وبغيوب سابقة كانت قبل نبوته بقرون ولكن لم يجيء أحد منهم بمثل ما تقدم إجماله في المقاصد العشرة العالية من العلم والحكمة والتشريع.

قد بينا لكم أيها العلماء الأحرار، بطلان ما اخترعته عقول المنكرين لنبوة محمد ﷺ من العلل والآراء لجعل ما جاء به من العلم الإلهي الأعلى، والتشريع المدني الأسمى، والحكمة الأدبية المثلى، نابعاً من استعداده الشخصي وما اقتبسه في بيئته وأسفاره من أقوال بعض الأعراب، وهي شوارد ما كان يُعنى مثله بحفظها، وآراء أهل الكتاب، وهي أوابد ما كان يثق بها فيحفل بقيدها، ولا كان هذا من شأنه. وعَلمتم أن بعض ما قالوه افتراء على التاريخ، وأن ما قد يصح منه عقيم لا يُنتج ما ادعوه، وعَلمتم أنه في جملته مخالف للعلم والفلسفة وطباع البشر وسنن الاجتماع، ووقائع التاريخ.

ونحن نتحداكم الآن بالإتيان بعلل أخرى لما عرضناه على أنظاركم من وحي الله تعالى وكتابه لمحمد ﷺ مع القطعي من تاريخه - علل يقبلها ميزان العقل المسمى بعلم المنطق، وسنن الإنسان وعلم الاجتماع.

فإن لم تستطيعوا -ولن تستطيعوا- أن تأتونا بعلل تقبلها العقول، وتؤيدها النقول، فالواجب عليكم أن تؤمنوا بنبوة محمد ﷺ ورسالته، وبكتابه المنزل عليه من عند الله تعالى لإصلاح البشر، وأن تتولوا الدعوة إلى هذا الإيمان، ومعالجة أدواء الاجتماع الحاضرة به، بعد أن عجزت علومكم الواسعة، وفلسفتكم الدقيقة، أن توقف عدوى فساد الإباحة وعبادة الشهوات وفوضى الأفكار في الأمم، وعجزت عن منع دول حضارتكم أن تنفق معظم أموالها المنتزعة من شعوبها ومستعمراتها في الاستعداد لحرب البغي والعدوان المدمرة، وتأريث العداوات بين شعوب الأرض كافة، بل زادوا شعوبهم عداوة وشنآناً، وبغياً وعدواناً، بما هو شر مما عليه قبائل الهمج، وسباع الوحش والطير والسمك، فقد كان غاية شوط هذه العلوم الواسعة عند هذه الدول أعظم نكبة على البشر، فإن أبيتم وتوليتم أيها العلماء عن دعوة الإسلام إلى السلام، فعليكم إثم شعوبكم ودولكم وسائر الناس.

لقد كتب النبي ﷺ لكل ملك وزعيم قوم دعاه إلى الإسلام«فإن توليت فعليك إثم من وُليت أمرهم»، ونقول لكم اليوم: فإن توليتم فعليكم إثم البشر كلهم،

لأنكم إذا أظهرتم الإيمان وتواطأتم على نشر الدعوة إليه، لا تلبث جميع الشعوب أن تستجيب لكم، وترغم حكوماتها على أخوة الإنسانية والسلام بهداية الإسلام.

***

obeikandl.com

علوم البشر لا تستقل بهدايتهم

لأنهم لا يدينون إلا لوحي ربهم

ألا إنه قد ثبت بالحس والعيان، أن العلم البشري وحده لا يُصلح أنفس الناس، لأنهم لا يخالفون أهواءهم وشهواتهم الشخصية والقومية إلى اتباع آراء أفراد منهم، وإنما يدينون بوازع الفطرة لما هو فوق معارفهم البشرية، وهو ما يأتيهم من ربهم.

ولا يوجد في الأرض دين عام كامل صحيح ثابت إلا دين الإسلام، وقد بينا لكم أصول تشريعه الروحي والسياسي والاجتماعي الصالح لكل زمان ومكان، وأنه دين السلام والحق والعدل والمساواة، التي تعطي كل شعب وكل فرد حقه، فبه وحده يمكن البرء من الأدواء المالية والسياسية والحربية والاجتماعية كلها، فاليهودية دين موقت خاص غير عام وانتهى زمانها، والمسيحية إصلاح روحي لليهودية ليس فيها تشريع، ولا تصلح وصاياها الزهدية التواضعية لحضارة هذا العصر، وإنما كانت موقوتة لإصلاح غلو اليهود والروم في الطمع الدنيوي والشهوات كما تقدم، والبرهمية والبوذية والمجوسية، على ما تعلمون فيهن من وثنية وخصوصية وخرافات وعداوات، وتفاوت طبقات، يدينون الله بجعل بعض من كرمهم من البشر أخِسَّاء بالفطرة كالحشرات، أو رجساً من عمل الشيطان، فلا يصلح شيء منها لتثقيفهم بالتوحيد والعرفان، والإخاء الإنساني العام. فإذن لا ملجأ ولا وزر، ولا ملتحد للبشر، إلا دين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران]، فلئن اهتدت به أمة قوية منظمة لتصلحن به سائر الأمم، ولتكونن لها السيادة العليا في جميع الأرض، وليدخلن العالم الإنساني في طور جديد من الترقي، والجمع بين منافع القوى المادية، والمعارف الروحية، وهما منتهى السعادة الإنسانية.

الرجاء في العلماء المستقلين دون السياسيين:

بلغنا أنه دعا بعض العلماء منكم إلى عقد مؤتمر من كبار علماء الشعوب كلها للبحث في الوسائل التي يمكن أن تقي حضارة العصر من غوائل الشحناء القومية والدولية، ولئن عُقد هذا المؤتمر فلن يكون أمثل ولا أرجى من هذه المؤتمرات التي تعقدها الدول في الأمم وعواصم السياسية، وهي لم تزد الأدواء القومية إلا إعضالاً، والأخطار الدولية إلا تفاقماً، والشعوب التي تتصرف بثروة العالم إلا فقراً، وإنما الدواء الواقي المضمون بين أيديهم وهم لا يبصرون، وحجته البينة تناديهم ولكنهم لا يسمعون ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنفال].

وأما أنتم أيها العلماء المستقلوا العقول والأفكار، فالمرجو منكم أن تسمعوا وتبصروا، وأن تعلموا، فإن كانت دعوة القرآن لم تبلغكم حقيقتها الكافلة لإصلاح البشر، على الوجه الصحيح الذي يُحرك إلى النظر، بما ضُرب دونه من الحُجب، أو لأنكم لم تبحثوا عنها بالإخلاص، مع التجرد من التقاليد المُسَلَّمة عندكم والأهواء، ولأن الإسلام ليس له زعامة ولا جماعات تبث دعوته، ولا دولة تقيم أحكامه وتنفذ حضارته: بل صار المسلمون في جملتهم حجة على الإسلام وحجاباً دون نوره، إلى غير ذلك من الحجب والأسباب، التي بينتها في مقدمة هذا الكتاب، فأرجو أن يكون هذا الكتاب كافياً في بلوغ الدعوة إليكم بشرطها المناسب لحال هذا العصر، فإن ظهر لكم بها الحق فذلك ما نبغي ونرجو لخير الإنسانية كلها، وإن عرضت لكم شبهة فيها، فالمرجو من حبكم للعلم، وحرصكم على استبانة الحق أن تشرحوها لنا لنعرض عليكم جوابنا عنها والحقيقة بنت البحث كما تعلمون.

ولا أراكم تعدون من الشبهات الصادة عن الإسلام (بعد أن ثبتت أصوله بما ذكرنا) أن فيه أخباراً عن عالم الغيب الذي وراء المادة لا دليل عليها عندكم، فإنما مصدر الدين عالم الغيب، ولو كان مما يعلمه البشر بكسبهم ويدينون به لما كانوا في حاجة إلى تلقيه من الوحي، وقد بينا أن تعاليم القرآن قد أثبتت أنه وحي من عالم

الغيب، وقامت برهاناً على وجود الله وعلمه وحكمته، فوجب أن تؤخذ أخباره بالتسليم، وحسبكم أنه ليس فيه منها ما يقوم البرهان على استحالته، وأن منها ما كان يُعد من وراء إدراك العقل، ثم كان من ثمرات العلم أن أثبت وجود مثله بالفعل كتخاطب أهل الجنة وأهل النار وترائيهم وهم فيها على ما بينهما من البعد، ولا تكونوا ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[آل عمران].

معجزات القرآن الطبيعية والفلكية:

وأما أخبار القرآن عن عالم الغيب المادي من تكوين وتاريخ، فمن معجزاته الإيجابية أنه جاء فيه كثير من التعبيرات التي كشف العلم والتاريخ في القرون الأخيرة من معانيها ما لم يخطر في بال أحد من أهل العصر الذي نزل فيه. ومن معجزاته السلبية أنه لم يثبت على توالي القرون بعد نزوله شيء قطعي ينقض شيئاً من أخباره القطعية، على أن أخباره هذه إنما جاءت لأجل الموعظة والعبرة والتهذيب، ويكفي في مثل هذا أن تكون الأخبار على المألوف عند الناس، ولا يُنتقد عليها إذا لم تشرح الحقائق الفنية والوقائع التاريخية لأنها ليست مما يُبعث الرسل لبيانه، ومنها ما لا يمكن الوقوف عليه إلا بالتعمق في العلم أو الاستعانة بالآلات التي لم تكن معروفة عند المخاطبين الأولين بالوحي، بل لا يصح أن يأتي فيها ما يجزمون بإنكاره بحسب حالتهم العلمية لئلا يكون فتنة لهم، وقد قال نبي الإنسانية العام «أنتم أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم في صحيحه.

ومن دقائق تعبير القرآن في النوع الأول (التكوين) التي اختلف في فهمها الناس أن مادة الخلق (دخان) وهو عين ما يسمى السديم، وأن السموات والأرض كانتا رتقاً، أي مادة واحدة متصلة، ففتقهما الله وجعل كلاً منهما خلقاً مستقلاً، وبث فيهما أنواع الدواب، ولم يكن أحد يعتقد أو يتصور أن في شيء من هذه الأجرام السماوية حيواناً، وأنه جعل من الماء كل شيء حي، وأنه خلق جميع الأحياء النباتية والحيوانية أزواجاً، فجعل في كل منهما ذكراً وأنثى، وأنه جعل كل نبات موزوناً

يعني أن عناصره متوازنة على نسب مقدرة، وأنه أرسل الرياح لواقح، وأنه﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[الزُّمَر:5]، والتكوير هو اللف على الجسم المستدير وهو صريح في كروية الأرض ودورانها اللذين كانا موضوع الجدال والنضال بين العلماء إلى عهد قريب بعد الإسلام. وأمثال هذا فيه كثير، حتى إن بعض آياته في الشمس والقمر والنجوم، وسبحها في أفلاكها وجريانها إلى أجل مسمى، وفي تناثر الكواكب عند خراب العالم لا تُفهم فهماً صحيحاً إلا في ضوء علم الفلك الحديث.

وأعجب منه إثباته أن للخلق سنناً لا تتبدل وبيانه لكثير منها، ومن سنن الاجتماع التي لم يهتد البشر إليها بالبحث العلمي إلا بعد بيان القرآن لها بقرون، ولم أوردها في هذا البحث، لأنها قد يقال إنها مما يعرف بالعقل، وليس من موضوع الوحي، وسأفصلها في الجزء الثاني المتمم لهذا الكتاب، وأختم دعوتي هذه بتلاوة قول الله عز وجل في (آخر سورة 41 حم – فُصِّلَت).

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾.

اللهم إني قد بلغت، اللهم إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، اللهم اشهد فأنت خير الشاهدين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب

obeikandl.com

تقاريظ كتاب الوحي المحمدي

قد جاءنا من كتب الثناء والدعاء ورسائل التقريظ لهذا الكتاب ما هو فوق المعهود في تقريظ الكتب، حتى من معتادي الإطراء الشعري، ونُشر شيء من ذلك في الصحف التي قلما نراها، فكان من الشكر لله تعالى وللمحسنين من الناس، والتعاون على إذاعة دعوة الإسلام، أن ننشر أهم ما حفظناه مما كتب إلينا، ومما نشر في الصحف التي اطلعنا عليها، وقد فعلنا في آخر الطبعة الثانية، وكان ذلك كله بعد الاطلاع على الطبعة الأولى المختصرة، ونعيد الآن في الثالثة بعضه ونختصر بعضاً، ونزيد عليه بعض ما كتب إلينا بعد ذلك.

ونبدأ بكتابين كريمين، لملكي الإسلام الكبيرين، الإمامين الجليلين: إمام العترة الزيدية يحيى بن حميد الدين ملك اليمن الميمون، وإمام أهل السنة والجماعة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية، وخادم الحرمين الشريفين، أدام الله توفيقهما، وأعز العرب والإسلام باتفاقهما وتعاونهما، وإننا ننشرهما بحسب تاريخ ورودهما.

***

كتاب جلالة الإمام يحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

الختم

أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، الإمام يحيى حميد الدين

إلى السيد العلامة محمد رشيد رضا صاحب المنار حفظه الله

لقد ظفرت العيون بما تشتهيه، وحظيت من الأماني بما تبتغيه بعد إرسال رائدِ لحظها، وتمتعها بالوموق على تلك الرياض الأنيقة، وينابيع التحقيق الغزيرة التي أودعتموها ذلك المجموع، النفيس المطبوع، المسمى (بالوحي المحمدي) فإنه والحق

يقال وحيد في بابه موضوعاً وتنسيقاً، واستدلالاً وسياقاً، يُهدي إلى القلوب ما يرفع عنها الرين والكروب، ويتحف المُطَالع بما تستلذه المسامع، ويستطيبه القاريء والسامع، وتثلج له الصدور، وتنبعث من حقائقه أشعة النور، فجزاك الله خيراً على هذه الخدمة الدينية التي نراها من العمل الصالح، والمتجر الرابح، والقصد الناجح، وإنا لتعميم الانتفاع به نطلب منكم أن ترسلوا إلينا من نسخه المصححة أخيراً مائة نسخة على حسابنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في 21 جمادى الآخرة سنة 1352

***

كتاب جلالة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

إلى حضرة الأخ المكرم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله تعالى:

السلام عليكم ورحمة الله. أما بعد فقد تلقينا كتابكم الكريم، المؤرخ في 23 من رمضان سنة 1352 وأحطنا علماً بما ذكرتم بارك الله فيكم. لقد اطلعنا على كتابكم (الوحي المحمدي) فَسَرَّنَا اهتمامكم بإخراجه للناس، وقيامكم بما فرض الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، في زمن تكاثرت فيه الشبهات ممن ران الشيطان على قلوبهم فصدهم عن سبيل الله حتى ضلوا وأضلوا. فكان كتابكم من أبلغ القول في إظهار حجة الله القائمة على عباده، يدعو من كان له قلب إلى دين الحق، ويبين للجاحد الملحد بطلان حجته، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأخذ بيدكم في تأييد الدعوة الإسلامية، ونشر عقائد السلف الصالح، ووفقنا وإياكم لما فيه نصر لدينه، وإعلاء لكلمته، إنه على كل شيء قدير.

والسلام. في 4 من ذي القعدة سنة 1352 الختم

***

كلمة من كتاب لإمام طائفة الأباضية الهمام

كنا أهدينا نسخة من كتاب الوحي المحمدي إلى هذا الإمام الجليل، مع كتاب خاص فجاءنا كتاب منه (من نزوى – عُمان) بعد جمع ما تقدم وما بعده، وقبل طبعه، قال في أوله بعد البسملة:

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي

إلى حضرة السيد العلامة المحقق أخينا السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فإن رأيتم في إبطائنا في الرد على كتابكم الكريم المرسل معه مؤلفكم فذاك لا عن إهمال وعدم تقدير. وإن لكم ولأمثالكم من إخواننا علماء الدين الحنيف منزلة كبرى في القلب لا يحلها سواهم ... (ثم قال بعد بيان العذر):

أما مؤلفكم العظيم فهو في غنى عن التقريظ والمدح، وإعجابنا به لا يُحد، ولا شك أنه الحجة الدامغة والقول المتين، لمن لا يدين بهذا الدين القويم، وفقكم الله لخدمة الإسلام والمسلمين، وبارك الله فيما تنوون وتقصدون، وسلام الله عليكم.

الإمضاء

***

كتاب صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر ورئيس المعاهد الدينية الذي أعيد إليها بعد ثورة من العلماء والطلاب، كادت تقضي على العلم والتعليم فيها أو يعاد إليها، وأيدتهم الأمة كلها فيها.

صديقي السيد الجليل الأستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الإسلامي القويم فقد عرضتم خلاصته من

ينابيعه الصافية عرضاً قلَّ أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة، وقد استطعتم أن تُوفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون، فجزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازي به المجاهدون، ولكم مني تحية الإخاء والسلام عليكم ورحمة الله. محمد مصطفى المراغي

***

تقريظ الأستاذ الفاضل صاحب المصنفات المفيدة

الشيخ محمد أحمد العدوي من المدرسين المصلحين في الأزهر

(الوحي المحمدي) كتاب جديد أخرجه الأستاذ الكبير صاحب المنار، وآية كبرى من آيات الله في التأليف، وحسنة من حسنات صاحب المنار (وحسناته كثيرة). تقرأ هذا السفر فترى فيه حججاً دامغة، وإحاطة بمقاصد الإسلام، ودفعاً لشُبَهٍ يوردها أعداء الحق، ولقد يخيل إليك أثناء دراستك للكتاب أن صاحبه لمس أمراض النفوس فوضع لها علاجها، كما تراه قد أقام الحجة من العقل والنقل على الملحدين من رجال العلم ولا سيما الماديين منهم، وإنه لكتاب تحتاجه جميع الطبقات، وحاجة الذين يهمهم نشر الدين والدعوة إليه أشد، أفاض في مباحث الوحي، وأقام الأدلة على أن ذلك الوحي لم يكن نابعاً من نفس محمد ﷺ كما زعم المسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) وغيره وإنما هو نازل من السماء.

ليس بالعجيب أن نرى لصاحب المنار هذه المعجزة العلمية فإن البحوث الدينية والتحقيقات العلمية قد امتزجت بلحمه ودمه، حتى أصبحت الكتابة فيها هينة عليه لينة له، ويأخذ منك العجب منتهاه حين تجلس إليه فيحادثك وتحادثه وقلمه يسيل بتحرير مسائل في الدين أقل ما يحتاج الكاتب إليه فيها أن ينقطع عن العالم ليجمع شتات فكره رجاء أن يلم بأطراف مسألة منها.

وهذه آثاره في تفسير كتاب الله تعالى ناطقة بنبوغه وتفوقه، وأنه بَزَّ علماء التفسير جميعهم في إبراز القرآن الكريم للناس معجزة دائمة، وهداية عامة شاملة، وسعادة لهم في دينهم ودنياهم، تقرأ طائفة من التفسير فتحس في خلال القراءة أن

من ورائك سوطاً من أسواط الحق يسوقك إلى الفضيلة ويردعك عن الرذيلة، وأن صلتك بكتاب الله تعالى وتعلقك به في هدايته وفقه معانيه هي أغلى شيء في هذه الحياة، وأعظم رزق ساقه الله إليك، كما تحس في ذلك التفسير أنك في دائرة من دوائر المعارف الإلهية الكبرى.

وجدير بأستاذ له هذا الأثر أن يطلع على الناس بأمثال (الوحي المحمدي) مما يغذي أرواحهم، وينمي معارفهم، دع ما وراء ذلك كله من قوة في البيان، ورواء في الأسلوب، وتنسيق لطرق الاستدلال، ودقة في المأخذ، كل ذلك تجده في مؤلفات صاحب المنار، وتراه أوضح وأجلى في (كتاب الوحي المحمدي) وما سبقه من كتاب (نداء للجنس اللطيف، وحقوق المرأة في الإسلام).

وكل ما نتمناه أن يُلْهَم الناس رشدهم، ويعرفوا للعاملين قدرهم، فيكافئوهم على هذه المجهودات بمطالعة كتبهم، وأن ينسأ الله في أجل صاحب المنار حتى يتم تفسيره الذي خدم فيه أحد عشر جزءاً من أجزاء القرآن الكريم، وأن يمده بروح منه ويبعد عنه مشاغل الحياة حتى يعيش موفور الصحة هاديء البال.

وأن يستجيب فيه دعاء الأستاذ الإمام وهو يقول في آخر حياته:

فيا رب إن قدرت رُجْعَى قريبة ... إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضيء النهج والليل قاتم
ويخرج وحي الله للناس حاوياً ... من الرأي والتأويل يَهْدِي ويلهم

محمد أحمد العدوي

***

كلمة من كتاب للأستاذ الكريم صاحب الإمضاء

لئن اجتمع علماؤنا الرسميون على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

أطال الله حياتك يا مرشد الحيران، ويا خليفة حكيم الإسلام، حتى تصير الأمة الإسلامية (رشيدية) اسماً ولحماً ودماً إن شاء الله، رغم أنف الحاسدين أمثال صاحب سجود الشمس تحت العرش، وأعوذ بك ربي أن أكون من الجاهلين.

يا صاحب الفضيلة:

قرأت كتابكم (الوحي المحمدي) إلى آخره فإذا به فيض من نور الله، وقبس من ضيائه، يجب على كل مسلم متدين أن يقرأه، إذ أنه خير كتاب من نوعه ألف في هذا الموضوع، بل يجب على كل مسلم غيور أن يعمل على ذيوعه وانتشاره بين طبقات الأمة حتى يعم نفعه، وهذا ما عاهدت الله عليه خدمة للدين وابتغاء وجهه الكريم.

أحمد أحمد القصير في كَفْر المندرة

***

كتاب الوحي المحمدي

لداعية الإصلاح العالم المستقل، والمناظر المستدل الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان بأسيوط، وهو مما جاءنا بعد الطبعة الثانية (قال):

نظر أبو العلاء المعري إلى نفسه فرآها وقد صفت ونجت من مزالق معظم النفوس، وأدرك عقله نقياً من الخرافات والأوهام التي أضلت العقول، وألفى روحه غنية بالفلسفة الصحيحة التي ترى في المادة ستاراً كثيفاً يُسدل على الحقائق، ووجد شعريته فياضة بأرقِّ المعاني، في أدق الألفاظ والمباني، فهتف من أعماق قلبه منشداً:

وإني وإن كنـــت الأخـــير زمانـــه لآتٍ بـــما لم تـــستطعه الأوائـــل

ونحن بدورنا ننظر إلى نفس السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فنراها وقد أُشربت حبَّ الدين الإسلامي الحنيف والدفاع عنه إشراباً، ونرى عقله وقد أدرك أسرار الإسلام إدراكاً، ونلفى روحه صافية تقية نقية قد أنجبت أسمى الآثار إنجاباً، ونسبَحُ في مؤلفاته فنعلمه الطود الأشم والفارس المجلَّى، والمحقق النادر

المثال، والكاتب المبخوت الذي لا يُشَق له غبار، ثم نقع في سياحتنا على كتابه (الوحي المحمدي) فنقف طويلاً، ونهتف مثل ما هتف المعري منشدين مخاطبين السيد الرشيد المرشد:

وأنــت وإن كنــت الأخــير زمانــه أتيــتٍ بــما لم تــستطعه الأوائــل

ولقد كنا نؤمن بأن الله تعالى أوحى إلى عبده ورسوله ﷺ ما أوحى، مستدلين بنصوص القرآن الكريم وببعض البراهين العقلية التي تخير (؟) الوحي إلى النفوس الصافية الراقية، ولكنا ما كنا قادرين أن نُقنع بهذا ذوي العقول العصرية وأولي البحوث الدقيقة القوية، فإذا دار النقاش بيننا وبين فريق من هؤلاء لم يعجبهم كثيراً مما ندلي به، وألقوا في سبيلنا عقاباً، وافتجروا[1] حفراً، وأقاموا متاريس، وغرسوا أشواكاً، فتنتهي المناظرة ولا اقتناع ولا رضاء، ويُنشر عنا العجز عن بيان وجه الحق في هذه المسألة مع أهميتها ونفاستها ونفعها العظيم إذا أحسن تبيانها، وأتقن توجيهها وعرضها على طالبيها، فكان كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الشريف والمصلح الكبير، أستاذنا محمد رشيد رضا صاحب المنار وافياً بالمطلب على أتم وجوهه، كافياً في الإقناع لأكبر متشبث متعنت، حجة صادقة لا تُدفع، على صحة الوحي الرباني لرسول الله ﷺ سيد العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

يرى قارئ «الوحي المحمدي» مقدمة وجيزة بديعة تُجْمل الكتاب وتُبرز مغزاه في صورة مستملحة جزلة طيبة، يعلم منها ما يجب الإفرنج عن الإسلام: من الكنائس المعادية، والسياسة الخادعة، وحال المسلمين الواهية، وما يعوق الأجانب عن فهم القرآن من جهل بلاغته، وقصور ترجمات القرآن عن إدراك غايته، وعدم وجود دولة إسلامية تدافع عن هدايته، ويفهم منها القصد من الكتاب على أتم وجه من وجوه الصواب. ويجول القاريء بعد ذلك في جنة الكتاب الغنَّاء فيعرف معنى

(1) افتجر الكلام اختلقه، لم يتبع به أحداً ولم يتابعه عليه أحد. فلعل الأصل افتجروا شبهاً واحتفروا حفراً.

النبوة والوحي والرسالة وحاجة الناس إليها، ويدرك عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومقدار ما جنت عليها كتب السابقين بما يجريء على الشرور والمفاسد، ويتيقن وجوب إيمان الناس برسول الله ﷺ فاتباعه هو الدواء الناجع لأدواء الهيئة الاجتماعية. ويتنقل القاريء من شجرة النبوة الوارفة الظلال إلى أن نبوة الرسول ﷺ هي الممتازة، فنبوة الأنبياء الإسرائيليين كانت -على قولهم- أشبه بصناعة تُتلقى في مدارس خاصة، ونبوة موسى الكليم عليه السلام قد ينكرها الملاحدة، لأنه تربى في بيت فرعون وهو بيت علم وتشريع، فلا عجب إذا جاء بشريعة كالتوراة. ونبوة المسيح عليه السلام يُعقب عليها الملاحدة أيضاً فينقصون قدرها ويغضون من قيمتها، ويقولون إنه لم يأت بشيء جديد. وأما نبوة الرسول ﷺ فلا يمكن الطعن عليها بمثل هذا لأن سيدنا محمد ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يتصل ببيئة علم أو شريعة، فمجيئه بهذا الدين دليل صدقه وحقية رسالته. والحقيقة أن نبوة الرسول ﷺ مثبتة لغيرها من النبوات لا تصح إلا من طريقها ومشكاة نورها.

ويمتلئ القاريء بعد هذا علماً وتحقيقاً حين يقرأ الفصول البليغة عن الأدلة العقلية والكونية على صدق الوحي المحمدي الإلهي فيطمئن قلبه وتستريح نفسه وينشرح صدره، ويشكر لله توفيق السيد رشيد حتى ألف هذا الكتاب الذي أنار طريق الوحي بآلاف المصابيح الكهربائية الساطعة القوية. ثم يرتوي القاريء من نهر فياض، عذب صافٍ، يجري منه التحقيق ذهبياً عسجدياً، فيعرف مقاصد القرآن الكريم وهدايته للبشر وإظهار الحق في الإيمان بالله تعالى، وفي عقيدة البعث والجزاء، ويلمس الإصلاح القرآني العظيم للنفس والروح والجسد والأفراد والجماعات والنهضة التي أزجاها في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب، وحياة الأسرة. فإذا انتهى من الكتاب خرج منه بكنز ثمين من العلم الصحيح النقي وانتقل إلى جو من السعادة فسيح بما وصل إليه من هدوء في نفسه واطمئنان في قلبه واقتناع في عقله لا يملك نفسه أن يصيح: حياك الله أيها السيد الرشيد، لقد سُدت بإصلاحك، ورشدت بمباحثك القيمة الدالة على إشراق نور الحق في قلبك، فهنيئاً لك عملك، ومشكور لك سعيك.

ولقد استوعبت كتاب الوحي المحمدي وهنئت باغترافه وارتشافه عدة مرات فرأيته رحيقاً من العلم مختوماً ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وأنا أشهد صادقاً أن السيد أدى بكتابه إلى العالم الإسلامي أجلَّ الخدمات، وعبَّد للباحثين من الغربيين والعصريين منهج البحث الهاديء الرزين، القوي المبين، وأسقط حجج الذين كانوا يحتجون بأنهم غير واجدين من يقدم لهم المطالب سائغة ميسورة، وسيكون له إن شاء الله أثر جليل في توجيه المباحث الدينية وجهة طيبة في صالح الإسلام ومستقبله العتيد بإذن الله. ولقد ظهر إخلاص السيد في كتابه فطُبع مرتين في أشهر وأقبل عليه الشرق والغرب وتُرجم إلى عدة لغات أدام الله نفعه، ونشر شذاه وعُرفه وأطال عمر السيد ليتحف العالم الإسلامي بدرره الغالية وتحقيقاته السامية إنه أكرم مسئول وعلى كل شيء قدير.

مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المؤلف) فات المقرظ الكلام في دعوة علماء شعوب الحضارة إلى الإسلام وتحديهم بمعجزات القرآن.

***

كتاب الوحي المحمدي

نقد وتحليل – نظرة عصرية في إعجاز القرآن(*)

سوء أعمال المبشرين – أخلاق سيدنا محمد العالية – العناية بالوحي المحمدي

عندما يُخرج أحد المؤلفين كتاباً يتصدى له النقاد، فيشيرون إلى مباحثه بين تقريظ وانتقاد، وأخذ ورد، ويكشفون عن محاسن الكتاب وعن المآخذ التي يرونها فيه.

وهذه الطريقة قديمة وأصبحتَ إذا قرأت نقد الكتاب لا تتوقع إلا أحد أمرين: إما إعلاناً أدبياً عن الكتاب وإما تنفيراً منه وفي كلتا الحالتين يكون القاريء مظلوماً.

* بقلم الدكتور حسين الهراوي بمصر، ونشر في جريدة الجامعة الإسلامية بيافا.

وقلما أعرض لموضوع كتاب بالنقد أو التقريظ فليس من شأني أن أجامل المؤلفين أو أخدع القارئين، وإنما يدفعني إلى الكتابة عن كتاب ما، ذلك الأثر الذي يُحدثه في نفسي ذلك المؤلف، وتلك العاطفة التي تجاذبني من أثر هذه القراءة.

ولعل أصوب طريق للنقد في نظري أن تجعل من الكتاب الذي تتعرض له موضوعاً لتبدي رأيك وما يعن لك من الأفكار بصدد هذا الكتاب.

ولعلي لا أجامل إذا قلت: إن كتاب الوحي المحمدي الذي ألفه الأستاذ السيد محمد رشيد رضا أثار فِيَّ دافعاً للتعليق عليه ونقده، وأن أجعل ذلك الموضوع مجالاً للمناظرة في موضوع هام له أثره في العالم الإسلامي إن لم يكن في العالم أجمع.

فالكتاب كله أدلة لإثبات صحة الوحي المحمدي وبحث علمي في المعجزات والدعوة إلى الإسلام.

أما إن الوحي المحمدي في حاجة إلى أدلة منطقية أو علمية لإثباته فهذه مسألة فيها نظر، لأن الإسلام جلي ظاهر لا يحتاج إلى أدلة منطقية أو علمية لإثباته. ولكن المسألة ليست مسألة إثبات، بل هي مسألة ردود على فتنة أشعل لظاها جماعة من المستشرقين والمبشرين، فأخذ الأستاذ السيد رشيد يرد الدليل بالدليل والحجة بالحجة، ومازال بدرمنغام حتى سد عليه الطرق، وكبله حتى تلاشت تلك العواصف التي أثارها هذا المستشرق، وجعلتنا نرى أغراض جماعة من الأوربيين واضحة من طعنهم في الإسلام ونبي المسلمين.

أعجبتني تلك الفصول الفياضة الممتعة عن حرية الفكر في الإسلام، وذم التقليد والحض على التفكير الحر في دائرة العقل: تلك الفصول التي دبجها الأستاذ في كتابه مستشهداً بالقرآن والحديث.

والحق أن هناك فرقاً شاسعاً بين الإسلام والمسلمين، ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر تسلطت عليهم الأعاصير السياسية فقام جماعة باسم الدين يبتدعون المذاهب لأغراض سياسية. ويستغلون الشعور الديني لمآرب دنيوية. ولا زلنا نسمع عن بعض زعماء يستغلون الدين لأنفسهم ويفرضون على أتباعهم زنات من الذهب

كل عام ولذلك كان موقف الأستاذ رشيد في كتابه عن هذه النقطة موقفاً مشرفاً. فقد كشف عن الوجه الصواب. وما أحوج المسلمين إلى أمثال هذا الموضوع ليفتح أعينهم للحقائق. حتى يروا الحق كما هو لا كما صوره الواهمون المغرضون. وما أحوج الناس إلى ترجمة هذه الفصول لنشرها على العالم. فالناس في البلاد الأجنبية معذورون لعدم معرفتهم حقيقة الإسلام. وقد ذكر الأستاذ رشيد أسباب الحجب بين الإفرنج وحقيقة الإسلام وعدَّدها واحداً واحداً. ولكنه لم يذكر المستشرقين في فصل خاص. ولم يذكر أسباب طعنهم في الإسلام. ولم يفرد في كتابه فصلاً يأتي فيه على ذكرهم وأثرهم في مطاردة الإسلام في بلاده وإن كان لَمَّح إلى ذلك تلميحاً في رده على درمنغام.

ونحن لا زلنا نقول إن للمستشرقين أكبر الأثر في إظهار الإسلام على غير حقيقته وأنهم يطعنون في سيدنا محمد ﷺ من غير حق. ومهما تكن الأسباب الداعية لذلك فنحن أحوج ما نكون للرد عليهم وإظهار أغلاطهم وتسفيه أحلامهم.

أما ما كتبه الأستاذ عن الكرامات ودعوى جماعة من المشعوذين الدينيين باسم الولاية والكرامة إلى غير ذلك من المسائل التي ما زالت تشغل أذهان السذج من الناس – فما ذكره في ذلك يُعَدُّ آية من آيات الإيمان الصادق والإسلام الصميم الذي لا يُستغل لمآرب دنيوية. وعندي أن المسلمين قد آن لهم أن تفتح أعينهم لتلك المسألة الجوهرية، وإنه لعار أن تظل تلك العقائد الخرافية ممسكة برقاب الأمة في عهد النور والعرفان.

والحق أن في العالم أشياء كثيرة غامضة ولا زالت مسألة الأعمال الخارقة للعادة موضوع بحث، وإن كان العلم لم يحدد مركزها تماماً، ولكن على أي حال لا صلة بين هذه الأعمال وبين الدين، لأننا نسمع الكثير منها في مذاهب الأديان المختلفة، حتى في الديانات الوثنية التي لا يقبلها عقل مثقف الآن وحتى في الأديان التي لا زالت تعبد الأصنام، وتقدس الإنسان.

على أن السيد رشيداً تصدى إلى مسألة (جان دارك) وكتب عنها بما وسعه علمه الواسع. ولكني أظن أنني اطلعت على مقالة لكاتب فرنسي عن كتاب يعزو سر نجاح جان دارك إلى أنها كانت من العائلة المالكة الفرنسية وأن شارتها كانت تمتاز بالشعار الملكي.

والحق أن كتاب الأستاذ رشيد يعد نوعاً جديداً في التفكير الإسلامي الحديث، وأنه نواة صالحة للنسخ على منواله بتوسع الخ.

***

كتاب الوحي المحمدي

تقريظ الأستاذ الأصولي (الراوي) من مناهل العرفان

ونشر في جريدة الاستقلال البغدادية الغراء في 2و 3 صفر سنة 1353

سألت صديقاً لي من علماء الدين قبل سنتين عن ضرورة تأليف كتاب يصلح للدعوة إلى الإسلام ولمقارعة خصومه من رجال التبشير والملحدين ولتثبيت عقائد ضعاف الإيمان من المسلمين. فكان جواب صديقي: إن دين الإسلام لا يحتاج إلى ذلك الكتاب، لأنه واضح المقاصد ليس فيه تلبيس ولا تدليس وفوق ذلك فإن هناك كثيراً من الكتب في هذا الباب كالكتاب الفلاني والفلاني -وأخذ يعدد لي أسماءها- ولكني قاطعته، وكنت مطلعاً على تلك الكتب: إنها كلها ليست وافية بالحاجة ولا نستطيع الاكتفاء بها للغايات المتقدمة. ثم افترقنا ولما تذهب الحسرة من فؤادي. حتى إذا مر على هذا الحادث سنة وبضعة أشهر لقيت ذلك الصديق وكان ممسكاً بيديه كتاباً يقلب صفحاته ويتأمل بعض ما فيها، فسألته عن اسمه، فقال: إنه كتاب (الوحي المحمدي) الذي ظهر حديثاً، وإنه هو الكتاب الذي كنت ترجوه قبل مدة من الزمن. فأسرعت إلى المكتبات وكلي شوق إلى الحصول على هذا الكتاب فاقتنيته، ثم كررت راجعاً إلى البيت فأتيت عليه في يوم واحد، وكنت كلما زدت فيه توغلاً، زدت فيه إكباراً لمؤلفه، وإعجاباً به، وأخذت الحسرة تذهب عن فؤادي تاركة وراءها فرحاً واغتباطاً.

كتاب (الوحي المحمدي) من قلم الأستاذ العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا، والأستاذ رضا ليس بعيداً عن القراء، فهو كاتب بليغ، وعالم كبير من أساطين علماء المسلمين، أوقف نفسه منذ عشرات السنين على خدمة الدين الإسلامي الحنيف، ومناضلة خصومه وأعدائه ومجادلتهم بالحجج الدامغة، والأدلة المقنعة، التي لا تدع شكاً لمتشكك ولا قولاً لمجادل، سواء في الصحف أو المحاضرات والمناظرات.

أنشأ مجلة المنار منذ بضع وثلاثين سنة وجعلها مسرحاً لثمرات أقلام كتاب المسلمين الفطاحل، وهذا عدا ما يتناوله من البحوث القيمة والمسائل المهمة بقلمه البليغ وأسلوبه الممتع، وما يكتبه وينشره من الآراء الناضجة الثمينة في تفسير كتاب الله تفسيراً سلفياً عصرياً في الوقت نفسه، وما يجيب به عن فتاوى المستفتين.

ولم يكن الأستاذ رضا ليكتفي بهذه المجلة وما تتطلبه من الجهود الكثيرة والعناية اللازمة، بل نراه لا يدع فرصة تمر، ولا مناسبة تحدث إلا ويباغت الناس بكتاب جديد، يسد فيه نقصاً بارزاً حسبما يراه بنظره الثاقب، وكان آخر ذلك كتاب (الوحي المحمدي) الذي أصدره في يوم المولد النبوي الشريف من عام 1352 بعد الهجرة. لم يكد يظهر هذا الكتاب للناس، إلا وأقبلوا عليه إقبالاً لم يصادفه مؤَلف من قبله في العالم الإسلامي، حتى لم تلبث نسخ الطبعة الأولى أن نفدت في أيام قلائل الأمر الذي اضطر مؤلفه المفضال إلى إعادة طبعه مرة ثانية فصدرت هذه الطبعة في يوم عرفة من السنة نفسها بعد أن أضاف إليه ما رآه ضرورياً حتى جاء الكتاب بضعف حجمه في الطبعة الأولى على وجه التقريب.

إن موضوع (كتاب الوحي المحمدي) هو تفسير مفصل جامع لقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾؟ وهذا موضوع يحتاج في كل زمان إلى أدلة تختلف عنها في الزمان الآخر بالنسبة إلى ما عليه أهل ذلك الزمان من العلم والأخلاق والعادات والطبائع وغير ذلك من العوامل المؤثرة في عقلية الإنسان ونظره إلى الأشياء ووزنها بميزان العقل. فقد كان يكفي في صدر الإسلام والعصر

العباسي أن ينظر في بلاغة القرآن وإعجازه لإثبات أنه كلام الله تعالى وأن محمداً ﷺ لم يكن قائله وهذا ما لا يكفي في هذا الزمان، وأصبح المسلمون العارفون بأصول اللغة العربية -فضلا عن فروعها- قليلين يعدون بالأصابع، وصار الإسلام أمام تيارات قوية من التبشير النصراني والإلحاد المعطل وغير ذلك من الأمور التي نراها في هذا العصر الذي يسمونه بعصر العلم. وكأن الأستاذ صاحب المنار قد شعر بكل هذا فأخرج للناس كتابه (الوحي المحمدي) فجاء على قدر، وكان كافياً كل الكفاية لإقناع الملحدين والمبشرين، وتثبيت عقائد ضعاف الإيمان على شرط أن ينظروا بعين العقل لا بعين التعصب والتقليد الأعمى.

ولم يكن هذا الكتاب منتظراً من غير صاحب المنار، لأنه قد مارس الشئون الدينية والاجتماعية، وتوفرت له من الأسباب لدراسة الإسلام دراسة وافية ما لم يتوفر لغيره من علماء المسلمين، وهو لم يزل في جدال مستمر مع خصوم الإسلام من مبشرين وملاحدة، تارة على صفحات الصحف، وأخرى بالخطب والمحاضرات، وثالثة بالمناظرات، حتى أصبح بحث هذا الكتاب -على خطره- أمراً سهلاً ميسوراً له، بَيْنَا هو بالنسبة إلى كثير من العلماء الآخرين شيئاً شاقاً، وإلا لما توقفوا عن أن يأتوا بمثله.

ترجع الغاية من تأليف هذا الكتاب إلى شيء واحد وهو إثبات نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى البشر كافة، وأن الدين الذي جاء به هو من عند الله وليس من عنده، وأنه هو الدين الذي يرضاه الله لعباده لأنه نسخ به جميع الأديان ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾.

وقد تطرق المؤلف إلى شبهات المشبهين وشكوك الشاكين والمعاندين من الملحدين ومن أهل الديانات الأخرى فأوضحها وفصلها ثم أخذ بالرد عليها حتى جعلها حطاماً، ولم يدع لأحد بعد ذلك قولاً أو ظناً إلا وفنده بالحجة الدامغة، والقول الحاسم الذي ليس بعده كلام.

وقد عقد فصلاً خاصاً في إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في نفوس العرب من مؤمنين ومشركين، وقارن بين تأثيره في العرب وتأثير التوراة في بني إسرائيل وكيف أن العرب أوذوا في سبيل الله فصبروا وجَلَدوا لخصومهم، ثم تدفقت سيولهم إلى ما وراء الجزيرة لرفع كلمة الله، كل ذلك بفضل القرآن وتأثيره في نفوسهم.

وقد تكلم عن مقاصد القرآن في إصلاح بني الإنسان فقسمها إلى أقسام عدة من حيث العقيدة، ومن حيث الإصلاحات المالية والحربية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، ففصلها تفصيلاً وافياً، وبحثها بحثاً شافياً. وحسبك بالأستاذ المؤلف كاتباً اجتماعياً وسياسياً ودينياً بارعاً لا يدانيه أحد في مثل هذه المواضيع.

وقد لخص محتويات الكتاب في آخره، ثم دعا العالم المتمدن: أوربة وأمريكا واليابان إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام. ولا شك أنه قد أصاب مقصداً في توجيه هذا النداء إلى العالم المتمدن الذي هو أقرب الناس إلى الإسلام لو لم تُضله التعصبات المذمومة والعداوة الممقوتة والغايات الاستعمارية.

إن كتاب(الوحي المحمدي) كتاب عربي، ولسنا نرجو أن يأتي هؤلاء الأجانب من شعوب المدنية فيتعلموا العربية ليدرسوا هذا الكتاب، ولكننا نُؤَمِل من المسلمين الذين يحسنون اللغات الأجنبية الحية أن يأخذوا على عاتقهم مهمة ترجمة هذا الكتاب إلى تلك اللغات، وهم بذلك إنما يؤدون إلى دينهم خدمة لا تعوض، وجميلاً لا ينكر، هذا إذا لم نقل إنهم بذلك يقومون بواجب من أهم الواجبات، كما قام الأستاذ بنصيبه من الواجب.

وذكر الكاتب هنا أسماء بعض الذين تصدوا لترجمة الكتاب بلغات الشرق والغرب (قال):

ويا حبذا لو اهتمت الجمعيات الإسلامية بترجمته وتوزيعه خدمة للإسلام، وهي بذلك تكون قد أدت أحسن عمل وأجل خدمة للدين.

إن كتاب (الوحي المحمدي) والحق يقال أحسن كتاب أخرج للناس في هذا الموضوع، هذا إذا لم نقل إنه الكتاب الوحيد. ولكننا يجب أن لا ننكر أن الكتاب يحتاج إلى شيء من التفصيل أو الزيادة في بعض المواضيع التي تطرق إليها المؤلف بصورة موجزة كموضوع مطابقة القرآن للنظريات العلمية الحديثة، وما شاكل ذلك. ويسرنا أن الأستاذ قد شعر بذلك وقد وعد بتفصيلها في جزء ثان يُلحقه بالكتاب، وأملنا وطيد أن سماحته سيبر بوعده في القريب العاجل إن شاء الله.

لقد كتب كثير من العلماء والكتاب عن هذا الكتاب ولكن واحداً منهم لم يفه حقه، ولا أشك في أنه لا يستطيع أن يفيه، فإن الكتاب عظيم فوق ما يتصور الإنسان، فمن أراد أن يعرف قدره فليقرأه، ومن أراد أن يعرف حقيقة الإسلام من المسلمين وغيرهم فعليه به، فإنه من حجج الإسلام، وأما مؤلفه فلا يستطيع أحد أن يجازيه عليه غير الله، أطال الله بقاءه وسدد خطواته، ووفقه لخدمة الإسلام والمسلمين.

ر . . .

***

الوحي المحمدي

بقلم الأستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار

إبراهيم إطفيش الميزابي الجزائري

أجل كتاب في علوم القرآن، وأفخم سفر في جلال القرآن، ومعجزة من معجزات القرآن، كتاب (الوحي المحمدي). طالع أيها المعتز بالقرآن، ويا طالب منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل ترَ أبدع مؤلَّف وأسنى ما جاء به القرآن من هداية البشر أجمعين. إن (الوحي المحمدي) عَلَم وفق الله إليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا، عَلَم مستخرج من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لقد كُتب في علوم القرآن كتب كثيرة ولكنها لم تبلغ أن تأتي بما جاء في (الوحي المحمدي) حتى أصبح هذا الكتاب آية في الإبداع، وغاية في كشف معاني الكتاب المنزل على قلب محمد ﷺ. فيه الحجة على البشر أجمعين، وإن

القرآن يدعوهم إلى الانضواء تحت لوائه، ضامناً لهم كمال السعادة، والشمول بالنعم الرحمانية وجلال العزة، إن هم أخذوا بما جاء به من عند الله الرحمن الرحيم. كشف هذا الكتاب مناهج السعادة للأمم، وسبل الهداية الشاملة لطبقات البشر وأجناسه، حتى أصبح عَلَماً برأسه، يجب أن يُعتنى بتدريسه بين الفنون العالية لتخريج رجال عالميين في الهداية إلى شريعة الله التي أكملها وأتم بها نعمته على خلقه.

لقد أخرج المصنِّف هذا الكتاب للأمم، وهو أحسن ما أُخرج للناس من جهود العلماء، فلا ريب أن العلماء في جميع الأمم ستتلقاه بالقبول وسيترجم إلى جميع اللغات، لأنه هو الكتاب الذي تنشده اليوم العقول السليمة في كل الشعوب وسيهتدي بهداه من أراد الله له السعادة من بين أولئك العقلاء الذين يسعون وراء الحق لأنه الحق، ويدركون أن القرآن كتاب من عند الله، هدى وبشرى لأولي الألباب، لا سعادة للبشر إلا به، ولا سلام إلا باتباع هديه.

ولعلي أكون قد أديت واجباً إذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة الرقيق، فإن الإسلام جعلها حكماً مستمراً لما فيه من حكمة اجتماعية، ولم يوجد وضعاً لإبطال الرقيق بالتدريج السريع، ولكن الرق يبطل بطبيعته إذا دخل كافة الشعوب في الهداية الربانية، فوحدوه وعبدوه واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى آله.

***

تقريظ جريدة حضارة السودان

أهدتنا إدارة مجلة المنار الغراء كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه العلامة المحقق مصباح الإسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء.

وقد جاءت مباحث هذا الكتاب كسائر مباحث مؤلفه الثمينة سواء في تفسيره القرآن الكريم أو في مباحث مجلة «المنار» نوراً وهدى للناس في تبيان حقائق الدين الإسلامي، فهو بلا ريب فتح جديد في الدعوة إلى هذا الدين الحنيف القويم وقد تمكن مؤلفه، وهو ذلك العبقري الديني الذي سيط دين الإسلام بلحمه ودمه، من

أن يوفق بين الدين والعلم بطريقة يعجز غيره عن الإتيان بها، فالرجل عالم قوي الإيمان وناهيك ما تنتجه قوة الإيمان إذا توافر معها العلم، والكتاب نفدت نسخ طبعته الأولى قبل أن يحول الحول على طبعها لتهافت العوالم الإسلامية على النهل والعلل من مورده العذب، وقد صدَّر طبعته الثانية بمقدمة استغرقت عشرة مباحث هي وحدها تعد كتاباً، ثم أتى بعدها بفاتحة لها قد اشتملت على أربع مسائل، ثم انتقل إلى الفصل الأول، وهو يشمل ست مسائل، فالفصل الثاني وفيه عشرة مسائل، فالفصل الثالث وقد اشتمل على 17 مبحثاً، فالرابع وقد اشتمل على ستة مباحث، فالفصل الخامس وقد اشتمل على 75 مبحثاً. وما من مبحث من هذه المباحث يمر عليه المطلع إلا ويشعر أنه في أشد الحاجة إلى تفهمه من الوجهتين الدينية والمدنية.

وقد ذُيلت طبعته الثانية بنحو 23 تقريظاً في مقدمتها تقريظا العاهلين العربيين ملكي الإسلام، الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن، وصاحب العظمة السلطان عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز و نجد، في كتابين موجهين من لدنهما إلى المؤلف، وتقريظ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، المصلح الإسلامي الكبير المعروف لدى سكان هذه البلاد، وتقريظ أمير البيان المشهور الأمير شكيب أرسلان، وغيرهم من الأئمة الأعلام ورجال العلم والدين.

وإنا لنرى أن هذا السِّفر واجب على كل مسلم وجوباً عينياً أن يطلع عليه وأن يتفهمه ليتذوق منه حلاوة الإسلام، ويرى بمرآته بهجة القرآن ونوره ساطعاً يهدي إلى سواء السبيل.

عن حضارة السودان بتاريخ 29 أكتوبر سنة 1934م

***

طائفة مما كتبه لنا علماء ديار الشام الأعلام، أيد الله بهم الإسلام

عقب صدور الطبعة الأولى المختصرة

1 – للأستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار[1]

إذا أردت أن تعرف قيمة تفسير المنار للقرآن الحكيم، وأن تتحقق أنه أفضل تفسير للمسلمين في هذا العصر يقوم به أجدرهم عليه، وأولاهم به، وأنه لا يسد مسده تفسير آخر، لأنه يستمد من قوى هذا العصر وحقائقه، ويدفع ما تجدد من الشبهات والشكوك، ويقيم الأدلة القاطعة، ويورد الشواهد الحسية والتاريخية على أن الحكومة الإسلامية هي أفضل حكومة في العالم كله.

إذا شاقك ذلك وأردت أن تعرفه يقيناً، فاقرأ كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الإمام علامة العصر الأستاذ السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار ومؤلف تفسيره، فهو نموذج من ذلك التفسير العجيب الذي صدر منه أحد عشر مجلداً ضخماً إلى الآن، فسَّر بها أكثر من ثلث القرآن الحكيم، وكتاب (الوحي المحمدي) منها هو تفسير لقوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾؟ في أول يونس من الجزء الحادي عشر[2].

ولعمر الحق إنه أتى في هذا الكتاب بالعجب العجاب، فقد أثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالبراهين العقلية والعلمية الظاهرة، وأورد الشواهد التاريخية والحسية الكثيرة، ورد جميع ضلالات بني آدم عنها، لا سيما شبهات فلاسفة الإفرنج، ومطاعن الملحدين وخرافات المشعوذين.

---

(1) هذا الأستاذ جامع بين العلم الصحيح والعمل به والدعوة إليه قولاً وكتابة وخطابة ومناظرة، وبذلاً مما يملك من مال قليل، فقد علمنا أنه اشترى من كتاب (الوحي المحمدي) نسخاً كثيرة من دمشق وزعها على من يظن بهم الفهم والانتفاع حتى من ملاحدة الأغنياء، فنسأل الله أن يخلفه عليه ويجزيه خير الجزاء.

(1) تم الجزء الثاني عشر منه أيضاً.

وقد كان بعض فلاسفة الغرب كتوماس ودينيه ودرمنغام وأمثالهم كتبوا في السيرة النبوية شيئاً حسناً، وبسطوا لأممهم حقائق منها، لولاهم لطمسها الجهل والتعصب. غير أن هؤلاء قد عرضت لهم شبهات وأوهام، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموماً والمحمدي منه خصوصاً، ضرباً من الاستعداد النفسي، والفيض الذاتي، أي أنه نابع من قلب الرسول ﷺ غير نازل من عند الله.

وقد بسط السيد الإمام شبهتهم هذه، وأبرَزها بأوسع معانيها، وصورها بأجلى صورها، ثم كر عليها بالنقض والإبطال، وبَيَّن فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء.

ثم عقد فصولاً في إعجاز القرآن بأسلوبه وبلاغته، وقوة تأثيره وهدايته، بما لم يُؤثر مثله في كتاب آخر، ثم أفرد مقاصد القرآن الدينية والمدنية لرفع مستوى الإنسانية فشرح أصول السعادة الخالدة، ومطالب الحياة الراقية، ودل على مقاصد الإسلام العالية، التي لا يطمح العقل البشري ولا الارتقاء المدني إلى أسمى منها أبداً.

ولقد شرح السيد الإمام معجزات الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام شرحاً بليغاً يوقف مَن تدبره على سر اصطفائهم واجتبائهم وكونهم صفوة البشر وأكملهم وأفضلهم وأولاهم بحمل أمانة التشريع، والقيام بعهدة التبليغ و﴿**ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ**﴾.

ثم إن من أمعن النظر فيما كتبه عن المعجزات نفسها، وما أقامه من ميزان العدل والنصفة بينها، أدرك أن ليس فيما ظهر على يد المسيح عيسى بن مريم منها ما يعلو به عن مقام النبوة والرسالة أبداً ﴿**مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ**﴾، ثم أدرك أن القرآن هو الآية الإلهية الكبرى، والمعجزة الدينية العظمى، بل هو معجزة المعجزات، وآية الآيات، ولولاه لانمحى رسم تلك الخوارق من الأذهان.

ألا ليت دعاة النصرانية المبشرين الذين يسعون لتنصير مسلمي الأرض وهم مئات الملايين، ويبغون زوال القرآن (وقد تولى الله حفظه) من الوجود، ليتهم يعلمون أن أمة القرآن التي دانت به وأذعنت لحكمه، ولم تلتفت إلى شيء غيره، قد شهدت ببراءة العذراء البتول، وابنها المسيح الرسول، من مفتريات أعدائهم اليهود، وآمنت عن طريق القرآن وحده بكل ما ورد من معجزات الرسل وآياتهم وأن القرآن لو زال -لا قدر الله تعالى من الأرض- فإن أمة القرآن لا تؤمن لأحد بعد الوحي (المحمدي) بنبوة ولا رسالة، ولا تعتقد بنزول وحي من السماء على أحد الأنبياء، فإيمانهم بالقرآن إيمان بسائر كتب الله، وتصديقهم بخاتم النبيين تصديق بسائر رسل الله، وكفرهم بالقرآن كفر بجميع الكتب والرسل، فأي الفريقين من المؤمنين والكافرين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وإنك لتجد هذه الحقائق كلها وأضعافها واضحة في كتاب (الوحي المحمدي) وإني لمعترف بأني عاجز عن وصفه، وبأني لم أحط علماً بكنهه، ولكني أختم كلمتي بما قاله أحد خطباء الشرق الأستاذ يوسف اصطفان الشهير في المؤلف نفسه على إثر محاضرة كان ألقاها السيد الإمام بدمشق الشام في عهد الحكومة العربية قال: لا فض فوه، إن كان لهذا الرجل (يعني السيد الإمام) نظير في رجال الدين في الغرب فنحن لا نستحق الحياة، أو قال الاستقلال في الشرق.

ثم ختم الكتاب بدعوة الشعوب المتمدنة إلى ما ينجيهم من غوائل المدنية الفاسدة، ويمنعهم في ظلال الإسلام والسلام.

والكتاب قد ترجم إلى لغات كثيرة شرقية وغربية وتقرر تدريسه في بعض الممالك الإسلامية[1]، أفليس العرب، وفيهم أنزل القرآن، ومنهم أرسل الرسول ﷺ أولى بذلك؟ بلى، وإن قلمي ليعجز عن الإحاطة بوصف كتاب (الوحي المحمدي).

(1) قرأه المقرظ درساً في دمشق وبيروت معاً.

وحسبي أن أوجه نظر كل من يهمه أمر دينه، ولا سيما شبابنا المثقفون وطلاب المدارس العالية أن يجعلوه عمدتهم في دراستهم ودروس قراءتهم، فهو يغني عن كل كتاب في موضوعه، ولا يغني عنه غيره. محمد بهجت البيطار

2 – للعلامة الأستاذ الشيخ محمد ظبيان الكيلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الخير الهادي إلى الرشد، وآله وصحبه وتابعيه وحزبه. أما بعد فقد مَنَّ الله تعالى عليَّ بالاطلاع على كتاب (الوحي المحمدي) الذي أخرجه للناس العلامة الكبير والأستاذ الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر، فأدهشني ما رأيت من بدائع ذلك البناء الشامخ، والطود الراسخ، وما حواه من الآيات البينات، ومعجزات العلم الباهرات، وإني لا أريد أن أتوسع في تقريظ هذا الكتاب، وأن أبالغ في مدحه كما يفعله كثير من العلماء والكتاب، ولكني أريد أن أقول كلمتي عما حواه من الحقائق التي أتى بها المؤلف حفظه الله على ضوء العلم فأقول:

إنه لما أخبرني أخي وصديقي العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار أحد علماء دمشق بصدور هذا الكتاب، وأخذ يصف لي ما اشتمل عليه من الحقائق العلمية والأسلوب الجذاب، داخلني الريب فيما قال، وعددت ذلك غلواً في الدعاية أو ضرباً من الخيال، ولكني ما كدت أتناوله وأتصفح عباراته وأتذوق طلاوة أسلوبه الحكيم حتى انقلب ذلك الريب يقيناً، وأصبح عندي ذلك الخيال حقيقة ملموسة، وإذا بهذا السفر يتدفق حججاً استمدها المؤلف (أدام الله رشاده) من نور القرآن، واقتبسها من مشكاة العرفان، فكأنه وحي من الوحي، فقلت: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

جاء هذا الكتاب في وقت اشتدت الحاجة إلى مثله، وتطاولت الأعناق إلى وجود مُؤَلَّف جامع على شكله، إذ فشا اليوم الجهل وكثر الفساد، وهجمت على

المؤمنين جيوش الزيغ والإلحاد، فكادت تجتاح الفضيلة، وتقضي على البشرية بسموم الرذيلة، وتجتث الاعتقاد بوجود الخالق، وتقذفه من حالق.

فجاء الأستاذ المؤلف يدعو الأمم أجمع إلى هداية القرآن بالحكمة والموعظة الحسنة، يخاطب كل أمة على قدر عقولها، وينوع الأساليب الحكيمة بتقريب الحق إلى أفهامها، ليمحو ظلمة شكوكها وأوهامها، وليكون ذلك أوقع في النفوس وأبلغ في تأثير الحجة.

إننا اليوم في عصر كَثُرَ فيه طلاب العلوم الكونية، فلا يذعنون إلا لما كان مؤسساً على الحقائق العلمية، فهؤلاء اليوم قد وجدوا ضالتهم المنشودة، وبغيتهم المقصودة، فهو كترجمان حكيم يخاطب كل واحد منهم بلغته، ويناجي كل فريق على قدر عقله ودرجة استعداده ومعرفته، فما أجدر طلاب العلوم الكونية، وعشاق الحقائق في كل أمة أن يعكفوا على اقتنائه ودراسته، وتدبر آياته، ليستضيئوا بنور مشكاته، فينالوا السعادتين، ويفوزوا بالنعمتين.

أما علماء الإسلام فإنهم إذا ولوا وجوههم شطره، وقرءوه لإخوانهم، ازدادوا إيماناً مع إيمانهم، وكان لهم منه سلاح جديد يدفعون به هجمات أعداء الإسلام من المبشرين والملحدين، ويدحضون به دعاويهم الباطلة، وكان لهم منه أيضاً مادة غزيرة يستعينون بها على الدعوة إلى الله.

وأنا أرجو من الأستاذ (أدام الله نفعه) أن يسعى في ترجمة هذا الكتاب القيم إلى اللغات الأجنبية، من شرقية وغربية، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية، لأنها أكثر انتشاراً في الأرض، وليطلع عليه الأمم التي لم تقف على حقيقة الإسلام حتى اليوم كالأمتين اليابانية والأميركية، وليكون عوناً لجمعية الدعوة والإرشاد الإسلامية في طوكيو عاصمة اليابان، لتفهيم القوم حقيقة الإسلام، وأنه لم يكن ديناً تعبدياً فحسب، بل هو دين اجتماعي جاء لسعادة البشر، جمع بين خيري الدنيا والآخرة والله يهدي من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

دمشق — محمد علي ظبيان الكيلاني

3 – للعلامة الأستاذ الشيخ محمد مسلم الغنيمي الميداني

نور سطع في سماء جزيرة العرب منذ ثلاثة عشر قرناً فأضاء الكون لجدير بأن يكون موضع الإعجاب وتوجه الأنظار، وإن جزيرة العرب في ذلك الزمن كانت مجدبة من كل علم وفن لا يرى في سمائها بارقة نور. أخذ هذا النور يتلألأ في سماء الجزيرة وما تزيده الأيام إلا ضياء وامتداداً. والمعلوم أن مصدر هذا النور العظيم هو ذلك القرآن الحكيم، والنبي الكريم، العربي الصميم، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. ولقد شهد عظماء الإفرنجية وفلاسفتهم كدروي وإيرفنج وسديو وإسحاق طيار وغوستاف وتولستوي وتومس كارليل وهنري كاستري وغيرهم أن المدنية الغربية مقتبسة من الحضارة الإسلامية، ولو أخذنا نبسط أقوالهم لطال بنا المقام وخرجنا عن الموضوع.

وممن كتب في السيرة النبوية من مفكري الغرب درمنغام ومنتيه وغيرهما، فوصفوا النبي ﷺ بأنه كان للخلاء والعزلة يفكر في طريق النجاة من هذه المخازي والضلالات التي عم ظلامها البشر، ولكنهم حسبوا الكتاب الذي أنزل عليه من الوحي النفسي والإلهام الذاتي: أي أنه عليه الصلاة والسلام صفت سريرته على رءوس الهضاب وبين الشعاب في غار حراء، فأوحت إليه نفسه كتاباً أرشد الأمم وجميع الشعوب بتعاليمه كما ذكر مونتيه في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم بعد ذكره لأنبياء بني إسرائيل فقال: فتُحدث فيه (أي الفكرة الدينية) كما كانت تُحدث فيهم ذلك الإلهام النفسي.

فهذا أقصى ما وصلت إليه أفكار فلاسفة الغرب في الوحي الإلهي، لذلك قام علامة الإسلام السيد الإمام محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر، فكشف اللثام عن حقيقة الوحي وماهيته وكيفيته، وأبطل مزاعمهم ورد شبهاتهم بأدلة عقلية وبراهين حسية مفسراً قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾.

كتاب لم يُنْسَج على منواله، ولم يُسْبَق المؤلف لمثله، فهو كتاب لا يستغني عنه المسلم ولا غير المسلم، فالمسلم يعلم كيف يقيم الحجة على صحة دينه، ونبوة نبيه

وكتاب ربه، وغير المسلمين يرون الفرق واضحاً بين الوحي السماوي والإلهام النفسي، فجزى الله الأستاذ المؤلف خيراً، وأدامه للمسلمين ذخراً، آمين.

دمشق محمد مسلم الغنيمي الميداني

4 – للطبيب النطاسي والعالم العصري الدكتور سعد عيد عرابي

بدأ الكلام بمقدمة في تقهقر البشر في الأخلاق وصيرورتهم نوعاً مادياً آلياً، وتفكر بعض عقلاء أوربة في علاج ذلك بالدين، وتمنيهم بعثة نبي جديد. فدعاهم كتاب الوحي إلى دين الإسلام. ثم قال:

مع أن الغاية الأساسية لهذا الكتاب دحض مزاعم درمنغام وغيره من الإفرنج الذين يدعون أن الوحي المحمدي وحي نفسي لا إلهي، ومع أنه أفاض في الموضوع، وأيد بالبراهين العقلية والأدلة القطعية وبمعجزة القرآن المجيد فساد مزعمهم هذا، وأن الوحي المحمدي أثبت وأكمل وأعم من كل وحي جاء قبله – فقد جاء هذا الكتاب من مقدمته إلى خاتمته جامعاً شاملاً لم يترك شاردة أو واردة تُعلي كلمة الله تعالى وتنصر الحق المبين إلا وذكرها، كما وإن هذا السفر النفيس يروي غليل من كان للحقيقة من المستطلعين، فقد عرَّف النبوة وأبان الفوارق بين المعجزات والكرامات، وشرح مقاصد القرآن المجيد شرحاً دقيقاً: من دينية واجتماعية وسياسية ومالية (وأستأذن أن أذكِّرَه بالقواعد الصحية وهي كثيرة[1]):

والخلاصة أن هذا الكتاب قد جمع وشمل ما في الإسلام من حِكَم، وقد وفَّى الموضوع حقه، بأن قدمه للجمعيات الإسلامية في العالم داعياً رجالاتها إلى ترجمته إلى لغاتهم لتكون فائدته أعم، وقد دعا في خاتمته شعوب المدنية إلى الإسلام دين الإنسانية والسلام، لإنقاذ البشر من هذا الشقاء العام. إلخ.

دمشق الدكتور سعد عيد عرابي

(1) وعدتُ في تصدير الطبعة الثانية بتأليف جزء ثاني أبين فيه هذه القواعد.

5 – لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد رشيد ميقاتي

مفتي طرابلس الشام

أخي العزيز السيد عاصم آل رضا حفظك الله

سلاماً واحتراماً (وبعد) قرأت (كتاب الوحي المحمدي) الذي أهديتنيه فلا تسل يا أخي عما حصل لي من المسرة، في الحظوى بما هو لعيون المؤمنين قرة، ووقفت موقف الحائر، فيما أقول عن هذا السفر الباهر، المزري بالدرر والجواهر، والسهل الممتنع، الجامع المانع، في بيان حقيقة دين الإسلام، لكافة الأنام، فلم يسعني إلا أن أجهر بكلمة: الله أكبر فتح ونصر. وشعرت كأن منادياً ينادي من علو: يا أمة محمد، أمة الإجابة والدعوة، ويا طلاب الحقيقة والخلاص والإخلاص في هذا العالم، هاكم كتاباً اقرءوه فتعلموا منه بالوجدان والضمير الحي حقيقة الدين الإسلامي بأنه دين الحضارة والعقل، والترقي والعدل، والتسامح والفضل، والعز والمجد، والسيادة لكل فرد، والكفالة لكل خير في معاشكم، والسعادة في معادكم. وإنكم إن علمتم به وعملتم فزتم بسعادة الدارين، وإن لم تعملوا وعلمتم ظاهراً من الحياة الدنيا فزتم بها وحدها، وإن لم تعلموا ولم تعملوا خسرتم الدنيا والآخرة كحال بعضكم، وذلك هو الخسران المبين. وتعلموا حقيقة الوحي المحمدي أنه من الله رب العالمين، نزل به روح القدس جبريل الأمين، على قلب النبي الأمي محمد ختام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فمن هذا السرور، ومن هذا الشعور، تراني يا أخي داعياً إلى الله أن يكافيء مؤلف هذا الكتاب الجليل، العلامة النبيل، الفهامة لدين الإسلام، ابن عمك الرشيد الإمام، بخير ما كوفيء محسن بإحسانه من الخير والإنعام، آمين. راجياً إبلغ أزكى سلامي وفائق احترامي لحضرة المشار إليه، أدام الله فضله عليه. سلامي لكم، ورحمة الله تهدى إليكم.

مفتي طرابلس

محمد رشيد ميقاتي

10 رمضان سنة 1352

6 – للعلامة الأستاذ الشيخ سعدي يس الدمشقي

ما أن اطلعت على هذا الكتاب العظيم العديم المثال حتى علمت علم اليقين أن كتاب (الوحي المحمدي) هو خير كتاب أُخرج للناس في هذا العصر، بل لم يؤلف قبله في بابه نظيره، ولقد ارتفع عن كل مؤلف كما ارتفع مؤلفه عالم الإسلام الإمام الهمام السيد الشيخ محمد رشيد رضا عن كل عالم ومؤلف في هذا العصر ...

تأملت شُبَهَ درمنغام التي بسطها المؤلف الإمام قبل الرد عليها فإذا هي جبال تتصاغر أمامها دوامغ الحجج، وبحار زاخرة تكاد تُغرق الحق في اللجج، وتمتلىء منها قلوب المؤمنين رعباً، وما إن كرَّ عليها ذلك الغضنفر الضرغام، بسيف الحق الصمصام، حتى ذلت بعد جبروتها، وصغرت بعد كبريائها ...

وكتاب (الوحي المحمدي) ليس رد مفتريات وإبطال أخطاء فحسب، بل هو كتاب جمع فأوعى، فيه إثبات أن القرآن وحي الله الذي أوحى به لرسوله محمد ﷺ النبي العربي الأمي الهاشمي، وأنه آية الله الكبرى التي أيد بها دينه ونبيه وأنه معجزة باقية ما بقي النيران وتعاقب الملوان، وأنه أتى بجميع ما يحتاجه البشر لمعادهم ومعاشهم.

وفيه إثبات نبوة محمد ﷺ بوجه خاص ونبوة جميع الأنبياء بوجه عام، أثبت ذلك بأدلة أنصع وأمتع وأرفع من أدلة كتب دلائل النبوة، إثباتاً اعتمد على الأدلة العلمية العقلية التي يذعن لها المخالف المنصف والخصم المعاند. وفيه أصول العقائد الإسلامية بل فيه ملخص الشريعة الإسلامية: أحكامها وحِكَمها.

وإنك لتجد أن السيد الإمام، أمتع الله بطول حياته المسلمين ونصر به الإسلام، تجد أنه قد قسم الإصلاح الإلهي للبشر في القرآن إلى عشرة مقاصد، لا أحسب أن مخالفاً منصفاً يقرؤها متدبراً لها ويبقى عنده أدنى ريب أو أقل شبهة في أن القرآن أعظم كتاب منزل على أشرف نبي مرسل. دعم المؤلف الإمام هذه المقاصد بشواهد حية، وآيات ناطقة، وحجج ليست براهين ساطعة ولكنها شموس طالعة. ولئن سمي كتاب فتح الباريء قاموس السنة فكتاب (الوحي المحمدي) ترجمان القرآن،

وليس هذا بكثير على سليل بيت النبوة ومن يمت لرسول الله ﷺ بنسب النبوة. الخ.

***

تقريظ الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي
محرر مجلة الضياء الهندية التي تصدر باللغة العربية في لكنهؤ، ونُشر فيها

هدية ثمينة وتحفة نفيسة وثمرة علمية يانعة، أنتجها قلم إمام هذا العصر وحكيمه الأكبر، مولانا السيد محمد رشيد رضا، لا زال بحر بره زاخراً يقذف بالدرر، ووابل علومه يحيي القلوب الميتة، وظله الوارف حماية للإسلام والمسلمين.

هذه الدرة اليتيمة فكرة خطرت لحضرة السيد حين اشتغاله بتفسير كتاب الله القرآن واستخراج نفائس كنوزه. وأين منها الياقوت والمرجان؟ وهي بلا شك من التحديث الرباني، والإلهام الرحماني. قدمها حضرته للعالم الإنساني، في شهر ربيع الأول الذي كان فيه مولد المنقذ الأكبر للنوع الإنساني محمد صلوات الله عليه. فكانت خدمة جليلة وتكريماً لذلك الجناب المقدس. ولعمري إن بمثل هذا العمل المبرور يكون التكريم والتعزيز، وهو الآية المحكمة على المحبة العلمية الإيمانية، لا التمسح على الأحجار أو تعليق الخرق المزوقة، وإيقاد الأنوار الكهربائية الملونة، والفقراء ذات اليمين وذات الشمال يتضورون جوعاً ويموتون بأمراضهم ولا معالج لهم ولا آس، وراية الإسلام منكوسة، وأحواله معكوسة، وشرع النبي الأكرم منبوذ ظهرياً، وسنته الشريفة متخذة سخرياً، ولا غرو، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾.

افتتح الإمام الكتاب بمقدمة بيَّن فيها بحكمة عالية واضحة نيرة على ذلك ارتقاء البشر في الأمور المادية في خدمة هذا الغلاف الجسمي وبلوغهم في ذلك الغاية التي انعكست وصارت شراً على الأجساد التي اخترعت لتنعمها وتسعدها، وبيَّن انحطاطهم الروحي، وإفلاسهم الأدبي وما سبب لهم من الشقاء والعذاب

الجسمي الذي منه يحذرون ويفرون، وبرهن على أن السعادة البدنية يستحيل الوصول إليها بدون الكمال الروحي، والرقي النفسي، ببراهين لا تبقي للشك مجالاً، وراش سهام التأنيب للدول الآخذة بأزمة الأمم في هذا الزمان، وحمل عليها تبعة الخزي والشقاوة الذين تجلبهما على العالم بتكالبها على المادة، وتنافسها في التطاول وحب العلو والفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل في حروبها المتنوعة من سياسية واقتصادية وأدبية وغيرها.

ثم ذكر اعتراف حكماء الغرب بهذا الفساد وتمنيهم أن يُبعث نبي يُحدث انقلاباً روحياً ينقذ الإنسانية من نصبها وشرورها، وإطباقهم على أن أديانهم لا تنجع في علاج هذا الداء، بل ربما كانت إحدى عوامله، فأراد هذا الإمام الحجة أن يريهم أن الذي يطلبون بين أيديهم، وأن الدواء الناجع على طرف الثمام، ويرفع عنهم حجب الجهل والتعصب التي حرمتهم من اقتباس أنوار الدين الأصلي الخالد، دين الفطرة، ويضع أيديهم على محاسنه وفضائله ليتفقهوا فيه باتخاذهم «الوحي المحمدي» دليلاً وهادياً، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ولا جرم أن السيد أيده الله جمع ما كتبه الحكماء والأطباء النطاسيون لأمراض النفوس في هذا العصر وفيما قبله وزاد عليه بأوجز عبارة وأوضحها، وفتح باباً جديداً للدخول إلى خزانة كنوز القرآن، استعصى فتحه على من حاوله قبله من المصلحين بالنسبة إلى طب أدواء عصرنا هذا، وأتى في هذا السفر الصغير الحجم بالأدلة القاطعة عقلاً ونقلاً من الكتب المنزلة والسنن النبوية التي يتضاءل أمامها كل معاند بما يشفي الغليل، ويبريء العليل، في أمهات المسائل التي تشغل أذهان علماء العصر وعامته. فمنها نبوة محمد ﷺ وإثباتها بالحجج التي تجبر مثبتي الوحي ونُفَاته على الإذعان. والبحث الوافي الشافي في الوحي والمعجزات عند النصارى وعند المسلمين والفلاسفة مما لا تجده في غيره. ومن خواصه: أنه أورد فيه جميع الشبهات القديمة والجديدة التي وجهت للوحي العام والخاص وأجاب عنها بأحسن جواب. ثم خرج إلى المقصود بالذات وهو القرآن مبيناً أسلوبه، وحكمة

تكرار الآيات فيه. وما أحدثه هذا الكتاب العظيم من تأثير وانقلاب في العالم. ثم خصر مقاصده لأصول نذكرها آسفين إجمالاً لضيق المقام. الخ.

***

تقريظ الأديب الكبير الكاتب النحرير الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

شغلتني أشغال عن مطالعة هذا الكتاب أول مظهره. حتى إذا تفرغت وتهيأت لي الأسباب تجردت في قراءته وتدبره. ولقد تناولته والظن معقود بأنه من جنس ما خرج من الكتب في بابه، على أنني ما كدت أسترسل فيه حتى جعل يتعاظمني شأنه، ويتكاثرني خطبه، وكلما أمعنت فيه زادني إعجاباً به، وإجلالاً لموضعه، حتى خرجت منه ولا يكاد كتاب في بابه يبلغ مداه، أو ينتهي منتهاه.

ولقد يتداخلك العجب من أن أطلق أنا مثل هذه الشهادة في كتاب يخرجه السيد رشيد رضا، وبيننا ما أعلم ويعلم، وما الله تعالى به أعلم، فإن للدين والعلم حقاً يجب أن تكبح له الشكائم، وتسل دونه السخائم، وللحساب الغليظ مقام آخر إن شاء الله.

كتاب (الوحي المحمدي) يرجع موضوعه أو موضوعاته في الجملة إلى إثبات رسالة محمد ﷺ. وأنها خاتمة رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام. وأن شريعته هي الشريعة الجامعة لكل ما فيه صلاح العالم وحضارته ويسره وأمنه وسعادته في كل مكان، وإلى غاية الزمان، وأن شأنه عليه السلام مع شأن من تقدمه من الرسل الكرام لعلى حد قول المتنبي:

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

ولقد اتكأ المؤلف في تدليله أكثر ما اتكأ على القرآن الكريم، وفي إحسان وإبداع أثبت السيد أنه لولا القرآن ما انتهضت حجة قاطعة على نبوة من تقدم من الأنبياء.

ولقد جعل المؤلف كلما تحول إلى باب أو انحراف إلى مطلب في أسباب الموضوع يتقرى فِرَى عدو الإسلام من الداعين إلى حربه، ومن الملحدين عامة،

وشُبه الشاكِّين من أهله، ومن المتطرفين منهم بالتشكيك في بعض قضاياه، فيفر بها بالحجة فرياً، ويضغمها بالدليل الحاسم ضغماً! فما يدع لأصحابها متنفساً، ولا يجيز لمتنزي الإلحاد مضطرباً.

ولقد قال الكتاب في محمد ﷺ وفي الوحي وفي القرآن. وفي أثره في العالم. وفي معجزات الأنبياء. وفي حاجة العلم إلى الدين. وفي كثير غير ذلك مما ينسق للغرض، ويتجلى به وجه الحجة، فكفى وشفى، وبلغ من الإحسان والإجمال غاية المدى.

وليس من شأن هذا المقال أن يدل على مواضع الإجادة في أبواب الكتاب، بله كل فصل من كل باب. فذلك مما يخرج عن طوق سابغ المقالات، على أن في الكتاب مقامات صلصل فيها البيان الديني أي مصلصل، ولقد يكاد يتحول حسك وأنت تطالعها من البصر إلى السمع، حتى يخيل إليك أنك تسمع صرير القلم. ويحضرك في هذا المعنى قول المتنبي أيضاً:

كالحظ يملأ مسمعي من أبصرا

ولا شك في أن من هذه المقامات الرائعة قول الكتاب في أسلوب القرآن الخاص وإعجازه به، وحكمة التكرار فيه، ولقد وقع في هذا الغرض على حِكَمٍ لم أقع عليها في كتب من تقدمه. على أن المؤلف على عادته. لقد أسرع فَكَاثَرَ بهذا في الفهرس، إذ قال عند الإشارة إلى هذا الفصل (وهو ما لم يسبق لأحد بيانه).

ومن المقامات البارعة في الكتاب القول في معجزات الأنبياء، والفرق بينها وبين كرامات الأولياء، والحد بينهما وبين شعوذة المشعوذين. وآثار رياضة المرتاضين، فلقد جمع في هذا الباب بين ما أُثر في الشرع وما يجري به سنن الكون في لباقة وحسن تعليل، وجودة تفسير وبراعة وتأويل.

ومن هذه المقامات التي تَخْلِب وتروع ما أقام هذا الكتاب من ناصع الحجة على إيفاء الشرع المحمدي على الغاية في تقرير أعلى القواعد وأضبطها للإصلاح الاجتماعي والمالي والسياسي، ويدخل في هذا الباب العلاقات الدولية، ونُظم الحروب وغير ذلك مما يكفل صلاح البشر كافة، ويتضمن رقي المجتمع الإنساني

وبلوغه في أسباب الحضارة تلك المنزلة التي تخيلها أئمة الحكماء ودعاة الإصلاح من قديم الزمان.

ولقد عرض الكتاب غير هذا لمزايا الإسلام وحِكَم أحكامه سواء في العبادات أو في الأسباب الدائرة بين الناس، وبين جهة ارتفاعها على أن تكون من شرع البشر، وأنها أجمع وأكفى، وأكمل وأوفى من كل ما سن الخلق من النُظم بل من كل ما تنزل من الشرائع على جميع الرسل السابقين، عليهم صلوات الله أجمعين، وكل ذلك أجراه المؤلف على أسلوب منطقي سليم خال من الإسراف ومن الشعر والتخييل.

ومما يزيد من قدر هذا الكتاب: أن كثيراً مما جلا واستظهر من القضايا مبتكر لم يُسبق، على أنه لم يكن أقل براعة فيما نقل أو اقتبس، فلقد كان حق لبق في إلحاق كل شيء ببابه، وإقرار كل أمر في نصابه، إلى حضور الشاهد من كتاب الله تعالى وما صح من حديث رسوله ﷺ، وما أُثر عن الثقات من أئمة الإسلام ومن شهادات علماء الإفرنج أيضاً. ومهما يكن من شيء فالكتاب في الجملة مما لا يُطاول في بابه، بل لا أحسبني مسرفاً إذا زعمت أنه يمكن أن يعد بحق إحدى حجج الإسلام. اهـ.

***

تقريظ الكاتب المدني الشهير الأستاذ محمود العقاد، ونُشر في جريدة الجهاد

قال بعد مقدمة فيما قرأه من المباحث الدينية واصفاً صاحب المنار:

«ومزيته على الكُتاب الدينيين في العصر الحاضر أنه خلا من الجمود الذي يصرفهم عن لباب الفقه إلى قشوره، وسلم من تلك العفونات النفسية التي تعيب أخلاقهم وتشوه مقاصدهم، فهو أدنى إلى الصواب وأنأى عن العوج وسوء النية».

(ثم قال) وكتاب (الوحي المحمدي) الذي أظهره صاحب المنار في الأشهر الأخيرة هو من أفضل ما كتب في مباحثه الدينية: توخى فيه كما قال: «أن يكون أمضى مُدْيَة لقطع بها ألسنة الطاعنين في الإسلام من دعاة الأديان الأخرى» وأراد به أن يكون كتاباً «يصلح لدعوة شعوب المدنية الحاضرة إلى الإسلام ببيان البراهين

العقلية والتاريخية على كون القرآن وحياً من الله تعالى لا وحياً نفسياً نابعاً من استعداد محمد ﷺ كما يزعم بعض المتأولين لإعجازه منهم، وبيان ما فيه من الأصول والقواعد الدينية والاجتماعية والسياسية والمالية والدفاعية السلمية التي يتوقف على اتباعها صلاح البشر وعلاج المفاسد المادية وفوضى الإباحة وخطر الحرب العامة التي استُهدفت لها جميع الدول والشعوب في هذا العهد».

وعندنا أن الأستاذ يستجمع الكثير من أسباب الكفاءة الضرورية بتأليف كتاب في هذه الموضوع للغرض الذي أبانه، فهو يعلم من أسرار الأصول الإسلامية ما لم يتيسر في العصر الحاضر إلا للقليلين بين علماء المسلمين، وهو مسموع الرأي في العالم الشرقي، كثير القراء والمريدين في بلاد الإسلام، وهو أسلم فطرة من جميع من سمعنا بهم من المتصدين لهذه المباحث بين الشيوخ والفقهاء.

وقد درست بعض فصول الكتاب وتصفحت بعضها فبدا لي أنه ينهج في الاستدلال العقلي منهجاً كفيلاً بإقتناع العدد الأكبر من قراء هذه المباحث ولا سيما المسلمين، ولا أشك في سعة انتشاره وفلاحه في تفنيد المزاعم والريب التي قد تساور الأذهان بين أولئك القراء، فإن لم يبلغ الكتاب كل غرضه المفصل في فاتحته، فهو بالغ من ذلك الغرض ما يستحق تأليف كتب شتى لا تأليف كتاب واحد، وحسب المؤلف أن يظفر بهذا ليظفر بشيء كثير.

***

كلمة للأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي الكاتب الخطيب المصنِّف الشهير

نُشرت في جريدة البلاغ في 23 من جمادى الأولى سنة 1352

(الوحي المحمدي) كتاب من تأليف العالِم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار الأغر. وغاية المؤلف ثبوت النبوة بالقرآن، ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام.

«وفي الحق أنه كتاب جليل يلفت الأنظار، بما أورده الأستاذ مؤلفه من الأدلة العقلية والحجج النقلية بوضوح وجلاء على طريقة حديثة لم تسبق للمؤمنين في المسائل الدينية».

وقد حاول الأستاذ الفاضل إثبات الوحي بالمعجزات بأدلة منطقية فجاء موفقاً في كثير من بحوثه، وتكلم في درس علماء الإفرنج للسيرة المحمدية وشهادتهم بصدقه، ونفى شبهة منكري عالم الغيب على الوحي، وأظهر أن نبوة محمد ورسالته قائمتان على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وموضوعها. لأن البشر في عهد النبي قد بدءوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل بارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه، فجعل حجة نبوة خاتم الأنبياء عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي، ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال.

ثم خلص الأستاذ إلى الكلام على القرآن فتكلم عن إصلاح أركان الدين التي أفسدها الغير، وهي الإيمان بالله وعقيدة البعث والجزاء والعمل الصالح. ثم جعل لبحوث القرآن عشرة مقاصد كلها منطبقة على المنطق والعقل وحسن التعليل وسلامة التدليل مما تجعل الكتاب مقبولاً لدى الشبان المنورين والميالين لحرية الفكر.

ويقول الأستاذ: إن الكتاب يشمل دعوة شعوب المدنية إلى الإسلام ... ونحن نعلم أن هذا العمل يتطلب مالا كثيراً ووقتاً أكثر، فينبغي للسيد رشيد أن يدعو إلى هذا لا أن يكتفي بالتأليف العربي وحده، يدعو إلى نقل الكتاب إلى اللغات وترجمته وإلا فإن مجرد الكتابة على الغلاف أنه دعوة شعوب المدنية إلى الإسلام لا تكفي. الخ.

***

تقريظ الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو ريه، نشره بالمقطم

كنت أحسب يوم أن قرأت في الصحف نبأ كتاب (الوحي المحمدي) أنه رسالة صغيرة وضعها الأستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا ليمحص فيها أمر الوحي وحقيقته بعدما كثرت فيه أقوال بعض علماء الوحي وأنكروا إمكانه بما يعرف المسلمون، كما يُفعل في مسائل كثيرة مما يثور حولها الجدل فيضع فيها رسائل خاصة تطلع من قلمه منيرة كفلق الصبح، فتكون الحكمة وفصل الخطاب.

كنت أحسب الأمر كذلك حتى أتيح لي الاطلاع على هذا الكتاب فإذا بي أجد الأمر أكبر مما حسبت وأعظم مما توهمت، وإذا أنا بإزاء كتاب متعدد النواحي متسع الأرجاء لا يقف عند الكلام على الوحي، وإنما يمتد فيحيط بكل ما أوحي به إلى النبي ﷺ.

ونحن لا نحاول هنا أن نظهر للقارىء الكريم كل ما بين دفتي هذا الكتاب من بحوث لأن ذلك يحتاج إلى مقالات طويلة، وإنما نشير إلى بعضها وحسبنا ذلك.

وبعد أن لخص أهم فصول الكتاب قال:

هذا بعض ما جاء في كتاب (الوحي المحمدي) ولا غرو فإن مؤلفه هو الأستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا الذي قال فيه بحق زعيم الإسلام الكبير ومجاهده العظيم شيخ البيان الأمير شكيب أرسلان في معلمته الإسلامية الكبرى (حاضر العالم الإسلامي):

«قد انتهت إليه الرياسة في الجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة والتطبيق بين الشرع والأوضاع المحدثة مع الرسوخ العظيم في اللغة ... إلى أن قال: وهو الرجل الذي إذا دعا كل مسلم بإطالة حياته لكان بذلك جديراً».

وإذا كان لنا من كلمة عامة في هذا الكتاب نختم بها هذه الكلمة الصغيرة فإنا نقول: إنه كتاب لا يستغني عنه مسلم، ويجب على كل من يريد من أهل الأديان الأخرى معرفة أمور الإسلام على حقيقتها أن يقرأه ويتدبره. محمود أبو ريه

تقريظ الأستاذ الشيخ عبد السميع البطل المدرس بمدرسة رقي المعارف الثانوية

نُشر في جريدتي البلاغ والجهاد

استُهدف الإسلام منذ فجر التاريخ، لكثير من الشبهات التي كان يصوبها نحوه خصومه من الملاحدة، وأعداؤه من السياسيين، وكان العلماء في كل عصر يتصدرون للرد على هذه الشبهات ويجدعون أنوفها، فيظل واضح الطريق، نيِّر الدليل، ثم يسير الزمن بالناس، وتتلقح أفكارهم بعلوم ومعارف جديدة، فتتجدد لهم شبهات، وتعصف بهم أعاصير، فإذا بالعلماء المستقلين يكرون على المهاجمين، يجندلونهم بشباة أقلامهم، وقواطع حججهم، فما هو إلا أن نرى الباطل منكسراً والحق منتصراً.

وقد تجددت في العصر الحاضر شبهات على الإسلام كثيرة، وهُوجِمَ من أعدائه في إحكام وقوة، ولم يَدَعو تنفيذاً يأتي على بنيانه من القواعد إلا سلكوه، ولا سلاحاً يجهز عليه إلا صوَّبوه، ولولا حصانة الإسلام الطبيعية، ومنعته الذاتية لَخَرَّ مضرجاً بدمائه، ولأصبح أثراً بعد عين.

ذلك أن علماء الإسلام وهم ورثة النبوة، والقوامون على حراسة الدين، قد شغلتهم المناصب الدنيوية فأعطوها كل أنفسهم، ومكنوا لها من قلوبهم، وانصرفوا عن النظر في القرآن وعلومه، مخلدين إلى أرض التقليد، عاكفين عليه،. فلم يسايروا الزمن، ولم يتمشوا من الرقي الفكري، وأصبحوا يعيشون في عالم وحدهم، لا يدرون ماذا يقال عن الإسلام، ولا بم يهاجم وكيف يهاجم، ولئن سألتهم ليقولن «إن الإسلام بخير، وله رب يحميه» وهو جواب العجزة ومن لا حيلة لهم.

ولكن الله لا يذر الإسلام بغير سيف يحميه، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجة. فهذا معقل الدين وسنده عالم الإسلام السيد محمد رشيد رضا قد أخرج لنا في هذا العام كتابه (الوحي المحمدي) يثبت فيه النبوة بالقرآن، ويدعو شعوب المدنية إلى الإسلام –دين الأخوة الإنسانية والسلام– فكان خير كتاب أُخرج للناس في بابه.

افتتحه المؤلف الكبير بمقدمة فياضة في بيان موضوع الكتاب، وحاجة البشر إلى الإسلام، وبيان الحجب التي تحول بين الإسلام والإفرنج. ثم أفاض في الموضوع بما أفاء الله عليه من علم غزير، وعقل منير.

والسيد رشيد دائرة معارف إسلامية واسعة، وهو حين يكتب في الإسلام، لا يدع قولاً لقائل، ولا يترك استدراكاً لمستدرك، وأشهد لقد كنت أقرأ مقالات (الوحي) وهي لا تزال تنشر تباعاً في (المنار) فيأخذ مني الإعجاب بها كل مأخذ، ويسبق لساني بالدعاء لصاحبها بطول العمر والسلامة كفاء خدمته للإسلام.

بل أشهد ويشهد معي جميع الذين اطلعوا على كتاب (الوحي المحمدي) أنه لم يكتب مثله كاتب في الإسلام، وأنه خير كتاب في الدعوة إلى الإسلام وبيان مزاياه، لا يستغني عنه مسلم، ولا يسد غيره مسده في هذا العصر، ولا أستثني رسالة التوحيد للأستاذ الإمام فإنها على طرافتها وقوة حجتها وبلاغة عبارتها، قد يقال فيها: إنها رأي لصاحبها وصل إليه بعد دراسة للإسلام عميقة، بل قيل «إن رسالة التوحيد فلسفة لا دين» ذلك أن الآيات التي استشهد بها المؤلف رحمه الله كانت قليلة جداً، اكتفاء بالإحالة على الحجج العقلية، ووقائع التاريخ الصادق. أما (الوحي المحمدي) فإنه يثبت كل شيء بالقرآن، ويضع يد القاريء على موضعه من السور في سيل أَتِي ونور محمدي.

وجملة ما يقال في الكتاب: أنه أحسن ما أُلف في العقيدة الإسلامية في هذا العصر، وأنفع كتاب في الدعوة إلى الإسلام وصد غارات المبشرين، وأقرب إلى عقول المتعلمين المدنيين، وإني لأرجو أن يُترجم إلى اللغات الحية، وحينئذ أرتقب أن تقوم ثورة فكرية في العالم الغربي تتكشف عن فوز الإسلام ورجحان كفته. جزى الله المؤلف خير الجزاء.

عبد السميع البطل

***

تقريظ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد السائح النابلسي

عضو محكمة الاستئناف الشرعية في فلسطين

ونشره في جريدة الجامعة الإسلامية في يافا

منذ مدة وأنا أفكر في كتاب يصلح أن يكون هادياً وبشيراً للأمم غير الإسلامية بأسلوب مألوف لديهم، وعلى نمط يكون في متناول جمهرتهم حتى يُنَادى في الأوساط الأوربية والأميركية بالدعوة إلى دين الإسلام بالحجة والبرهان وامتلاء النفس قناعة وطمأنينة، ومع هذا يتيسر لنشئنا المثقف ونابتتنا الزاهية أن تتصفحه وتطالعه، ويزيل ما يترددها من شبهات، ويزيح ما يعتورها من اعتراضات. فلم أعثر على ذلك الكتاب إلى أن اهتديت إلى كتاب (الوحي المحمدي) للعلامة المحقق السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، ذي الآراء الإسلامية الناضجة، والأبحاث الدينية الموفقة، فوجدت فيه الضالة وتحققت فيه الرغبة.

إني قانع كل القناعة أن القرآن كفيل بحاجة مطالعه، قمين بأن يملأ نفس قارئه إيماناً وحكمة وعلماً وأدباً وسياسة وخبرة، ولكن هذا يتوقف على أن يكون القاريء خبيراً باللغة العربية ملماً بعلومها متضلعاً من بلاغتها وفصاحتها، ولا ريب أن هذا غير متيسر لكثير من أبناء العربية وعلماء المسلمين، فكيف بغير العرب وغير المسلمين؟ خصوصاً وأن المسلمين أعرضوا عن الاستفادة من هذا الكتاب المقدس الاستفادة اللائقة به وأصبحوا لا يعتنون إلا بمظاهر ختمه فقط ومراسمه الشكلية.

من أجل هذا كانت حاجة المسلمين إلى كتاب يبشر بدينهم على الوجه الذي بينا ماسة وشديدة.

وليس من شك في أن هذا العمل يتطلب تفكيراً عميقاً وخبرة واسعة ووقتاً غير قصير، حتى يخرج إلى الملأ مستكمل النواقص وافياً بالحاجة. وإن الأستاذ السيد محمد رشيد هو أجدر من يقوم بهذا العمل وأحق من يتحمل هذا العبء، وإن مبادرته إلى إخراج هذا المؤلف مسارعة إلى أداء فرض محتم عليه، وقيام بواجب لا

مناص منه لكفاءته النادرة، وشهرته في العالم الإسلامي شهرة فائقة، والاعتماد على آرائه، والاستفادة من نتائج قريحته والوثوق من خبرته وسعة اطلاعه ...

وليس من شبهة في أن المقصود الأول من هذا الكتاب جعله في متناول العلماء غير الإسلاميين، وخصوصاً غير العرب كما ذكر المؤلف نفسه ...

ولا يتيسر هذا إلا إذا ترجم للغات الأجنبية من قِبَل متضلعين بتلكم اللغات عارفين بأسرارها فينبغي والحالة هذه على الهيئات الإسلامية أن تقوم بهذا الواجب. إلخ.

***

تقريظ أمير البيان، شكيب أرسلان

إن المسلمين على بينة من أمرهم لا يحتاجون إلى دعاية ولا إلى التماس الأدلة حتى يعتقدوا بوجود واجب الوجود الذي لا يمكن العقل البشري أن يتصور هذا الكون بدونه، وكذلك لا يفتقرون إلى الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ بعد أن تلقوا خلفاً عن سلف النور الذي أُنزل عليه، والذي ما زال ينيرهم من العهد المصطفوي إلى الآن. فكتاب الوحي المحمدي للأستاذ العلامة حجة الإسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا لم يُكتب في الحقيقة للمسلمين لأنه كتاب يقيم الأدلة على صحة أمر يحيا المسلمون ويموتون عليه، ويرون جميع براهينه من قبيل البديهيات التي لا تحتاج عندهم إلى برهان كما لا يحتاج النهار إلى دليل. وإنما وضع الأستاذ هذا الكتاب للأوروبيين الذين يريدون أن يعلموا ما عند الإسلام من الأدلة على صحة الوحي المحمدي، والذين منهم من إذا أنار لهم الدليل لم يكابروا فيه تعصباً وعدواناً وصدوداً عن رؤيته. وقد كتبه أيضاً لكل من نشأ نشأة أوربية أي خالية من التربية الإسلامية التي يكون الناشيء قد ارتضع فيها مباديء الإسلام مع لبن أمه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر، ولما كان جميع من يقرءون العلوم العصرية اليوم، ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الإسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة الأوربيين

ولو كانوا مسلمين نسباً كان هذا الكتاب موجهاً أيضاً إليهم، لأنهم في حكم الأوربيين من جهة فقد التربية الإسلامية أو على ما يقرب من ذلك.

فلهذا كنا ندعو لقراءة هذا المؤلف ليس الأوربيين فحسب بل ناشئة المسلمين أيضاً، ولا سيما الناشئة التي أبت الحكومات الإسلامية إلا أن تطبعها بالطابع الأوربي لأننا في هذا العصر مغلوبون وأوربة هي الغالبة، والمغلوب مولع بتقليد الغالب حتى في الخطأ كما قال ابن خلدون. فالأستاذ الحجة يسرد للمرتابين الأسباب التي تحمل المسلم على أن لا يرتاب بصحة الوحي النازل على محمد عليه السلام. يقول:

وههنا لخص الأمير ما أطلنا به من حال النبي ﷺ قبل النبوة ثم قال:

ويقول السيد رشيد: إنه من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع أن من بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عالمي عظيم لا يمكنه بعد ذلك أن يقوم بشيء منها أُنُفاً (بضمتين) أي جديداً لم يسبق إليه فضلاً عن الجمع بينهما، والحال أن محمداً ظهر بهذا الأمر العظيم، وبهذا البيان الإلهي الذي لم يعهد العرب مثله، وذلك بعد الأربعين، فلم يكن قبل هذا التاريخ استعد له بشيء ولا وجد ما يدل عليه من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل.

ثم تكلم أمير البيان في زعم بعض الإفرنج أن النبي ﷺ كان يصاب بنوبة عصبية وأفاض بمعنى ما فندناه به، ثم قال:

وعلى كل حال قد اجتاز الأوربيون المرحلة الأولى من مراحل الاعتقاد بصحة دعوة محمد فقد لبثوا طوال القرون الوسطى يزعمون بتأثير كلام رهبانهم أن محمداً كان كاذباً فرجعوا الآن عن هذا القول إلى القول بأنه كان صادقاً معتقداً ما يقوله حقاً، وأن هذا القرآن كان ينزل عليه، وكان يعتقد هو أنه من عند الله وكان يرى المَلَك ماثلاً أمامه، ولكن هذا كان نتيجة المرض بقول بعضهم أو التخيل بقول الآخرين، فادِّعاء الكذب على محمد قد سقط اليوم في أكثر بلاد النصرانية، وقد اجتيزت المرحلة الأولى، فبقيت المرحلة الثانية وهي تصديق كون محمد عليه السلام

إنما كانت تحدث له الحالة غير المعتادة لسبب وحي كان يأتيه من قِبَل الله تعالى لا بمجرد التخيل ولا من قِبَل المرض. وليس بعجيب أن يتأول هذا التأول أهل عصر مادي كهذا العصر يصعب عليهم الاعتقاد بالغيب وتعليل الأمور بغير ما يقع تحت الحس. ولكنهم لو تأملوا لوجدوا أنفسهم عاجزين عجزاً تاماً بإزاء الأسرار الكونية لا يحلون منها مشكلاً إلا وصلوا إلى سد واقف في وجههم لا يقدرون أن يجتازوه إلا بعد التسليم أن هناك قوة خارقة للعادة، وأن القول بوجوده أقرب إلى العقل وإلى العلم من هذه التمحلات الواهية التي يحاولون بها تعليل الحوادث كلها بالأسباب المادية، ويلجئهم الأمر في أكثر الأحيان إلى تلمس الافتراضات المبنية على غير أساس.

إن كتاب (الوحي المحمدي) الذي جاء به الأستاذ السيد رشيد رضا في هذه الأيام قد أتى عصره على قَدَر، لأنه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الأمور التي هي معدودة إلى اليوم من البديهيات. وما دمنا نقفو الأوربيين صاعداً ونازلاً، ولا مناص لنا من هذا الاقتداء، كان لابد لعلماء المسلمين من إعداد الأسلحة العقلية اللازمة لمكافحة الشبهات التي هي من أصل أوربي، فكتاب الأستاذ وافٍ بهذا الغرض لا يخطر في البال معنى من المعاني التي يقتنع بها القارىء بعلو مزايا الإسلام إلا وقد أشار إليه (ثم تكلم عما في القرآن من الآيات العلمية الموافقة لما تقرر في العلوم العصرية وقد ذكرناها في آخر الكتاب ووعدنا ببسطها في الجزء الثاني منه).

***

كلمات في الوحي المحمدي

أنشر هنا بعض ما جاء من المكتوبات الخاصة لبعض قراء كتاب (الوحي المحمدي) من طبقات أهل العلم والرأي في الأقطار المختلفة فيما كان له من التأثير في أنفسهم.

(كلمة عَجْلَى لرب السيف والقلم، العالِم العَلَم سليمان باشا الباروني)

حضرة العلامة الجليل، المتفاني في إعلاء كلمة الله، وإحياء سنة رسول الله، فخر محققي العصر، الأستاذ السيد رشيد رضا. دام موفقاً.

السلام عليكم من أخ لك في الله، مولع بتتبع أخبارك، ومطالعة آثارك، معجب بجهادك في دفع شبه الملحدين، وتأييد حجج المؤمنين. هذا وقد تلقيت بيد الاحترام هديتك الثمينة (مؤلفك الوحي المحمدي) فتتبعت -بشغف زائد- أبوابه، وتفصحته على سبيل الإجمال (الآن) فكان في نظري سيفاً بَتَّاراً لرقاب أعداء الدين، وحجة بالغة للمؤمنين، فلله جهادك العظيم، ولله قلمك الفياض.

أمدك الله بروح من عنايته، ووفق رجال الإسلام إلى اقتنائه والعمل بما فيه، وسأكتب إليك غير هذا بعد أن أتفرغ لمطالعته مع تأمل إن شاء الله، ودُم معززاً ترساً للإسلام.

بغداد في 24 صفر سنة 1353 من أخيك المخلص سليمان الباورني

(الكتيب الوجيز، والمغني عن الوسيط والبسيط، للأستاذ المستقل)

(عبد الرحمن فهمي أمين السر لتأسيس الوفد المصري من مصطافه في النمسة)

سيدي الأستاذ الجليل، السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد فرغت من تلاوة مؤلفك الفذ (الوحي المحمدي) ولا أقول فيه أكثر من أنني لم أعثر مدة حياتي على كتاب انشرح له صدري، واطمأن له قلبي، وارتاحت له كل مشاعري، بعد كتاب الله غير (الوحي المحمدي) فجزاكم الله خير الجزاء عن الإسلام

والمسلمين. وإن هذا المؤلف الجليل القدر، لجدير بأن يقتنيه كل مسلم ويتلوه مثنى وثلاث ورباع، وهكذا حتى يستوعب كل ما فيه من درر وآيات بينات يرد بها بقدر استطاعته أقوال الملحدين من أمته، ويدفع به سيل المهاجمين من غيرهم.

متعك الله بالصحة العافية لتبقى ذخراً للإسلام والمسلمين، والسلام عليك وعلى من تحب وتختار. فينا في 5 يولية سنة 1934 المخلص عبد الرحمن فهمي

(كتاب سعادة عالِم التاريخ، ومربي العلماء الأستاذ أمين باشا سامي الشهير)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الأستاذ الشيخ رشيد منشيء المنار، ومصدر العلم، والمفيض على العالم أسطع الأنوار.

اليوم بحمد الله أتممت مطالعة كتابك الجليل (الوحي المحمدي) فحيا الله منك براعتك وإخلاصك، فقد صورت فيه عواطفك الشريفة فأبدعت تصويرها حتى زهاها الحسن، فأهنئك بهذه المكانة السامية من الأدب والتوفيق إلى أقوم المراتب العالية في تفسير آي الله الكريم. وأشكر لك شكر المخلص الحميم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الداعي أمين سامي

محطة رشدي باشا برمل الإسكندرية في 6 أغسطس سنة 1934

(كتاب علامة الأكراد الشيخ عمر القره داغي)

(المدرس بكردستان العراق في بلدة سليمانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد رسالته ببراهين هادية لأولي الألباب، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الحساب.

(وبعد) فقد وقفت على كتاب (الوحي المحمدي) للعلامة الشهير، والفهامة النحرير، السيد محمد رشيد رضا أطال الله عمره، فوجدته حاوياً لحقائق قامعة لغياهب شُبَه المتمردين والمبتدعين، وفوائد ترشد المتحيرين، وفُلْكَاً مشحوناً بدرر

فرائد الشواهد النقلية الباهرة، وفَلَكَاً مرصعاً بكل كوكب دري تَوَقد بالنكت والدلائل العقلية القاهرة، وقد أتقن فيه براهين إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وما يتعلق بها واستقصاها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولخص فيه نكتاً قرآنية بحيث لم ينسج أحد على منوالها ولم تسمح قريحة بمثالها، يذعن بها العالمون، ولا يجحد بها إلا القوم الظالمون. فشكرت الله تعالى على تزيين عصرنا بوجود هذا الحبر الذي هو علامة الزمان، ولا يختلف في كمال فضله اثنان، لا زال مستخرجاً من بحر علومه أمثال هذه الجواهر، ومتلألئاً من سماء فضائله هذه النجوم الزواهر، أدام الله نفعه للمسلمين، ووفقه إلى نشر هذه الآثار المؤيدة للدين، والدافعة لظلمة أوهام المبطلين، و صلى الله على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

في 3 صفر سنة 1353 ابن القره داغي عمر

(كتاب الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد الإمام بقرية (ته نكي سدر))

(التابعة للسليمانية)

بعد تقديم مقامات الاحترام، وتبليغ قصارى مدارج السلام، إلى محضركم الملفوف بالعلم المذاب، والكمال المستطاب.

إن سعيكم في سبيل توطيد أركان الدين المبين لمشكور وعملكم لتوثيق عرى المودة بين طوائف المسلمين لمأجور، وجهادكم للذب والدفاع عن حوزة الإسلام لمبرور، ولا يخفى لدى ذوي البصائر ما لأناملكم الشريفة من اليد الطولى على آحاد المؤمنين، ولخريطة خيالكم الوقادة من الرئاسة العظمى على الناس أجمعين. فلله الحمد والمنة والشكر والنعمة والثناء، حيث لا يترك أمر هذه الأمة اليتيمة شتى، ولا يجعل شأنها بينها متفرقة فوضى، بل يبعث في كل عصر من يجمع لها شملها، ويلم شعثها. من ينكر ما لكم على العالم الإسلامي من النعمة العظمى، والفضيلة الكبرى، مع أن ما تقاسونه من السهد والسهر خلال الليالي والأيام وما تتجرعونه في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهي الحنيفية البيضاء، والشريعة السمحة الأحمدية الغراء، من المرارات التي لا يفي بها

التقرير، ولا يبلغها التحرير، لأن الوجدانيات لا تُنال بالتعبير، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، آمين.

وإن مما هز العالم وفي الآفاق لمع، وسَر آدم وبنيه أجمع، إلا مَن قلوبهم في أكنة، وعلى أبصارهم غشاوة، وأسدلوا على مخيلتهم الجهالة والغباوة – تصنيف لطيف نبع من مناهل أنامل حضرتكم الأستاذ، وتفجر من ينبوع جمجمة ذلك الفاضل الملاذ، فانتشر في الآفاق صيته وصداه، واشتهرت لدى الفضلاء والعقلاء لطافة مبناه، ولا غرو لأن موضوعه موضوع طالما طاف حوله الفحول وتزاحموا عليه بالمعقول والمنقول، الحق يقال: ما أتوا بالمُصَفَّى المغربل ولا بالمُنَقَّى المنخول، وهو إثبات الوحي المحمدي، المتوقف على إثبات الوحي المطلق. توقف الكل على الجزاء المادي المستدعي لإثبات عالم الغيب الذي هو ركن بل أساس للديانات كلها، يرد كيد الماديين على نحورهم بالأدلة والبراهين الواضحة، والسلطان والحجج اللائحة.

نعم إن الأمور مرهونة بأوقاتها، وإن زماننا هذا لأحوج الأزمان إلى هذا الكنز الثمين، ألا يرى أن الحق منكوب بدعايات الزنادقة المارقين، بدوام الخافقين في المشرقين، ولعمري أن من غاص بالفكر في مستجدات ذلك العباب، وسرح النظر في مكنونات ذلك الكتاب، يستبين أن الديانة الإسلامية في الكفة الراجحة وأن نبيه عليه السلام جاء بالحجة الواضحة، وإنه لنبي عظيم مؤيد من الله القادر، لم ير له مثلاً إنسان عين الإنسان، ولن يراه أبداً، فإني أرجو من حضرتكم أن تسمحوا من ذلك الكتاب بنسخة أو نسختين كيلا لا تحرم بلادنا عن شذاه ورياه، يريحكم الله في الدارين به وبأمثاله التي هي من ثمار حياتكم النافعة، وهذا الحقير لا يتعاطى ما يعود عليكم بالغبن والخسران والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في 18 شعبان 1353 عبد الحميد الإمام

***

(أول كتاب من حضرة صاحب السعادة هارون سليم باشا أبو سحلي)

(مدير المنوفية في ذلك العهد)

سيدي الأستاذ الأجلّ السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلني كتاب (الوحي المحمدي) الطبعة الثانية يوم سفري في رحلة بحرية إلى مرسيليا، وكانت فرصة لمطالعته كله، وقد خرجت منه بأنه خير ما أُخرج للناس في موضوعه. وقد أعطيت التعليمات لمجلس المديرية لطلب 66 نسخة ليكون في كل مدرسة أولية وابتدائية نسخة. ولما كان واجب كل مسلم نشر هذا الكتاب بأوسع ما يمكن أرجو أن ترسلوا باسمي 300 ثلثمائة نسخة على محطة شبين الكوم لتوزيعها وثمنها 30 جنيه حسب البيان الوارد في كتابكم نرسلها عند إتمام التوزيع، وأختم كتابي هذا بتوجيه واجب الشكر لكم تلقاء هذا المجهود العظيم المضني، وإني في انتظار الجزء الثاني ولكم وافر التحية من المخلص. في 31 أغسطس سنة 1934 هارون سليم

(المؤلف) إن هارون باشا هذا من خير رجال حكومتنا عناية بالدين علماً وعملاً، بل لا نعرف له في رجال الإدارة مثلاً، وقد طلب منا بعد ما تقدم مائتي نسخة ثم أرسل ثمنها، ولما كان المعهود من أمثاله رجال الإدارة أن يوزعوا على وجهاء مديرياتهم كثيراً من الكتب غير النافعة محاباة لأصحابها فيقبلها الوجهاء إرضاء للمدير، على كراهة موضوعها وغلاء أثمانها، وكان يعلم أن مثلي ينكر ذلك عليهم – كتب إليّ أنه لم يتبع سنتهم، وإنما بين للوجهاء موضوع الكتاب في إقامة حجة الدين وبيان حقيقته، وأنه يعتقد أن قراءته واجبة عليهم وعلى أولادهم ولا سيما تلاميذ المدارس ويخيرهم، وإني إذا شئت كتب إليّ أسماء من اشتروه لأسألهم، فكتبت إليه: لا إنكار من يدعو إلى الله فيما يتخذ من حض الناس على معرفة عقيدتهم وأصول دينهم، فإنه يصدق على هؤلاء ما صح في حديث من «يقادون إلى الجنة بالسلاسل» ثم اتفق أن رأيت نقيب الأشراف للمنوفية بمصر فأخبرني عن مسلك المدير في الترغيب في الكتاب وكيف تلقوه بالقبول شاكرين.

(كتاب للفاضل الغيور الشيخ محمد عثمان علي اليماني في إلِدورت – غنيا)

بسم الله

حجة الله على العالمين فضيلة الأستاذ الأفخم، والمصلح الأعظم السيد محمد رشيد رضا المجدد لدين الله والناشر لوحيه، أمد الله له في الحياة منصوراً، ولا زال لإعلاء كلمة الله ظهيراً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرفع لفضيلتكم بأنه وافاني كتابكم (الوحي المحمدي) فخررت ساجداً لله شكراً عندما ظهر لي انتصار نوره الساطع، المنذر من لا يؤمن به بعذاب واقع، ما له من دافع، وكم كان فرحي عظيماً، وسروري جسيماً، لا أستطيع أن أشرحهما، فتلوته مراراً، وكلما كررته ازداد شغفي حباً لتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه، وزادني همة ونشاطاً في تبليغه إلى أبناء وطني المهاجرين، وحضهم على نشر الدين في هذه المستعمرة وأحيائها التي تقلص منها ظل الإسلام السائد سابقاً، وتهدمت فيها لغة القرآن، وتقوض منها مجد الإسلام العربي الزاهر، في العصر الغابر، بسبب تفريط مسلميه في نصرته، وركونهم إلى التوسل بأصحاب القبور، والتقرب إليهم بالقرابين والنذور، والآن بفضل الله وإرشاد مناركم الأغر، شرعت تتلاشى البدع والخرافات، وتضمحل العقائد الفاسدة في أبناء الناطقين بالضاد.

نعم يا صاحب الفضيلة لقد أرهقتمونا بنعمكم الروحية، وتعاليمكم الدينية، التي أخرستنا حيرة بأي لسان نقدم شكراً، وجوارحنا وإحساساتنا كلها ألسنة شكر. يا ليت شعري كيف أشكر؟ ويا ويح قلبي كيف أثني وأحمد؟ بعد أن أثنت عليكم نجوم الهدى، وكواكب الإرشاد، وشموس البلاغة، وأعلام الإسلام، وأرباب الأقلام وأمراء البيان، ولا يسعني والضعفاء إلا الدعاء لكم بما يحبه الله ويرضاه، وأن أهنئكم بأصدق التهاني على نجاحكم الباهر في هذه المساعي الجليلة للإسلام وأهله التي سيشتاقها كل سيد، ويقصر عن إدراكها المتناول، ولاسيما إبرازكم لهذا (الوحي المحمدي) المقدس أمام الأديان والملل نقياً من الخرافات والبدع التي ألصقها بها علماء السوء المبتدعون، وكانوا عليه حجاباً من اهتداء

العقلاء ومفكري الأمم الراقية بهديه المبين ووسائل لمطاعن الملحدين، ومثالب المكذبين، ولمَّا مزقت هذه الحجب الجسام ببيانك، ودمغت حججهم ببلاغته السماوية، انقلبوا على أعقابهم خاسئين، بتحدي آياته الكونية وعجائبه العصرية، ومعجزاته السرمدية، فأخرست أفواههم عن الجدال، وبهرت أعينهم عن الاحتقار، ودككت عقائدهم عن النضال، حتى آمنت القلوب، ولكن الألسنة والأفواه بآيات الله يجحدون ... إلخ.

(كلمة الأستاذ العلامة النقادة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي)

(من علماء جامع الزيتونة الأعلام من كتاب طويل له في رمضان سنة 1353)

وكنت في أثناء هذه المدة أطالع مناركم المنير، وما يتخلف عني من أعداده أشتريه من إحدى المكتبات، وكان فيما قرأت من مباحث التفسير ما كتبتم عن الوحي المحمدي، فحمدت الله أن كان من علماء المسلمين في هذا العصر مثلكم، وكنت أقول: لو قرأ هذا منكرو الرسالة المحمدية بإنصاف وفهموه حق فهمه لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كلهم أجمعون.

وقد كنت قرأته في المنار متفرقاً، ثم أعدت قراءاته متصلاً في الجزء الحادي عشر من التفسير، فجزاكم الله أفضل ما جزى به خادماً لدينه، وبارك في عمركم تخرجون للناس أمثاله، فتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى.

وما أنكرت فيه إلا كلمات في آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أذكر أنني رأيت مثلها في إحدى مقالاتكم في (شبهات النصارى وحجج الإسلام) اهـ.

***

قد اختصرت في هذه الطبعة الثالثة أكثر التقاريظ التي نشرتُ فيما قبلها، وحذفتُ بعضها لطولها وما فيها من التكرار ونقل بعض مسائل الكتاب للتنويه بها أو مشاركة أصحابها لنا فيها، وبهذا وجدنا مكاناً لغيرها، ولم نتصرف بشيء من ذلك بزيادة ما، ولا باختصار يغير المعنى.

حكمة نشر هذه التقاريظ

الغرض من نشر هذه التقاريظ إعلام قراء الكتاب من غير المسلمين (ومن الجامدين على تقليد المتقدمين منهم، الذين إذا رأوا كتاباً في الدين لمؤلف عصري أعرضوا عنه ولم يقرءوه لظنهم أن الأحياء لا يوثق بعلمهم) أن ما فيه من أصول الإسلام وحكمته متفق عليه وليس رأياً مني فيه، وإن كان فيه ما لا يوجد في غيره.

ذلك بأن الأحرار المستقلي الفكر منهم يقيسون دين الإسلام على غيره من الأديان، فيظنون أنه أكثر عقائده وأصوله مسلمات غير متفقة مع العقل والعلم الصحيح والمصالح العامة، ويظنون أن ما يسمعون من حكماء المسلمين موافقاً لذلك هو رأي لهم، كما قال بعضهم في رسالة التوحيد للأستاذ الإمام: إنها فلسفة الشيخ محمد عبده سماها إسلاماً، وقال لي مستر متشل انس الإنكليزي الذي كان وكيلاً للمالية بمصر مراراً عندما كنت أشرح له بعض أصول الإسلام وحكمته: هذا فلسفة لا دين، حتى قال لي مرة: إذا كان علماء الأزهر يوافقونك ويوافقون الشيخ محمد عبده على ما تقولون فأنا أعلن أني مسلم.

وهذا كتاب فيه من حكم الإسلام في أهم أصوله وفروعه أكثر مما في رسالة التوحيد، ومما كان يسمعه مني متشل انس وأمثاله، وفيه من شواهد القرآن ما لا يمكن أن يقال معها إنه من رأيي، وقد اتفق على الشهادة له العلماء والأدباء وكتاب الأقطار من جميع الطبقات، وفي مقدمتهم شيخ الأزهر بما هو صريح في تفضيله على جميع الكتب في موضوعه (إثبات الوحي والنبوة وإعجاز القرآن وأصول الإسلام الدينية والمدنية) وسيرون من فائدته في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وفي تثبيت المسلمين في دينهم ما هو فوق ذلك إن شاء الله تعالى، ولله الفضل والمنة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، وصلوات الله وسلامه على رسوله محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه الهادين المهديين، وجميع المهتدين بهديه إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***